العدد 6

مع الشباب

MAA ASHABAB

مجلة فصليّة تصدر عن
المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية ـ بيروت
العدد السادس ــ السنة الثانية ــ صيف 2019م ـ 1440هـ

- نحو حياة زوجيّة طيّبة..
- سعادتكم رهنُ محبتكم
- الحب في ميزان الواقعيّة
- العزوبيّة خيار الشباب أم المجتمع؟!
- عقبات على طريق المودّة
- ظاهرة الطلاق عند جيل الشباب!!

مقابلة مع المفكّر

د. حسن خليل رضا

تربية

كُن مدبِّراً ولا تكن مسرفاً

تكنولوجيا

إقرأ لغتهم: تقرأ أفكارهم

- كُن مبدعاً في تفكيرك
- سُرَّ من رأى: سِرٌّ من عرف
- الجندر GENDER
- ابن رشد الأندلسي

مجلة فصليّة تصدر عن
المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية - بيروت
العدد السادس - السنة الثانية - 1440هـ - صيف 2019 م

رئيس التحرير
حسن أحمد الهادي

مديرة التحرير
مريانا إبراهيم

المدير المسؤول
وفاء حطيط

التصميم والإخراج الفني
علي ميرحسين

الهيئة الاستشارية
جهاد سعد
نبيل سرور
محمد باقر كجك

أسرة التحرير
آلاء شمس الدين
محمد حسن
فرح الحاج دياب
أحمد شيبان
سكينة مصطفى
حوراء هزيمة

بوصلة

فطرةٌ تُنشد الكمال...

من الأمور الفطرية التي خُلقنا عليها، ميل كلّ من الذكر والأنثى أحدهما إلى الآخر، لذلك لا يعدّ هذا الأمر مذموماً بذاته، بل هو منسجم مع طبيعة خلق الإنسان، وإن كانت منطلقات كثير من الشباب - ولا سيّما في مرحلة المراهقة - متّجهة نحو البحث عن مظاهر الحياة لا معانيها وسبر أغوارها، وقد لا يتعدّى اهتمامهم دائرة الميول العاطفيّة والشهويّة ومظاهر الحياة الفارغة التي يُسخّر في سبيلها الغالي والنفيس دون وجود أهداف واضحة.

ومن الطبيعيّ أن يتبدّل هذا السلوك، بل وينقضي هذا الميل عند هدوء قوى النفس واستقرارها، فيتوجّه الشباب حينها إلى التفكير الجدّيّ والواعي والموضوعيّ بالحياة الزوجيّة والأسريّة. ومن أهم فوائد هذه المرحلة أنّها تقدّم للمجتمع الصورة الأوضح والأكمل عن شخصيّة الشباب النموذجيّة التي تتغيّر أولويّاتها وتنصرف نحو إكمال الدراسة الجامعيّة أو الانهماك في البحث عن الوظيفة والعمل لتأمين متطلّبات الزواج والحياة.

وفي كلا المرحلتين يجب أن يلتفت كلّ من الأهل والشباب والمجتمع بمكوّناته كافّة إلى أنّ التربية الإسلاميّة وتحصين الشخصيّة وترشيدها بالأخلاق الحسنة المستندة إلى الإيمان القويّ والثابت هي الضمان الأقوى لصفاء النفس وسلامتها، بحيث يبقى للفطرة السليمة التي فَطَرنا الله عليها إلى جانب التربية والمعرفة الدور الفاعل في فهم مراحل الحياة وأدوار الإنسان وواجباته وحقوقه فيها، وبهذا نضمن حفظ الشباب من السقوط في أوحال الرذيلة والمعصية والمخالفة، وتتفتّح سُبُل الحياة بسلاسة ولطافة وينطلق فيها الشباب بوعي ومسؤوليّة وكفاءة.

والذي يعزّز هذا الفهم وهذه النتيجة هو أنّ التعاليم الإسلاميّة الاجتماعيّة في الزواج والأسرة وغيرها تقود إلى هيكليّة تستجيب لجميع احتياجات الشباب المادية، والنفسيّة والمعنويّة، وتعمل على تلبيتها، وتبيّن حقوق كلّ فرد من أفرادها وواجباته. فالأسرة تمثّل النظام

الأمثل لتلبية الحوائج المادّية والنفسيّة والمعنويّة للإنسان؛ وذلك بما تُشكّله من أرضيّة مناسبة لتأمين الأمن والارتياح النفسيّ لأعضائها، وتربية الأجيال الجديدة، ودمجهم في المجتمع، وتلبية الحوائج العاطفيّة للأفراد؛ ولذلك يُلاحظ أنّ الفلاسفة والعلماء في العلوم الإنسانيّة منذ بداية التاريخ العلميّ المكتوب قد كتبوا عن الزواج والأسرة. وقدَّمت الديانات الإلهيّة تعاليم مهمّة في هذا المجال، وخاصّة الدين الإسلاميّ باعتباره آخر الأديان؛ حيث اعتبر أنّ الأسرة أحبّ موسّسة بشريّة عند الله وأعزّها، ورد في الخبر: «**ما بني في الإسلام بناء أحب إلى الله من التزويج**»[1] .

ويوضح الدين الإسلاميّ الآثار الإيجابيّة للزواج على الرجل والمرأة والمجتمع؛ فهو الوسيلة للإنجاب وتكثير النسل، ورد عن النبي محمدﷺ : «**ما يمنع المؤمن أن يتخذ أهلاً، لعلَّ الله أن يرزقه نسمة، تثقل الأرض بلا إله إلاّ الله**»[2]. وهو ضمان لإحراز نصف الدين؛ لأنّه الحصن الواقي من جميع ألوان الانحراف والاضطراب العقليّ والنفسيّ والعاطفيّ، فهو يقي الإنسان من الرذيلة والخطيئة، ويخلق أجواء الاستقرار في العقل والقلب والإرادة، لينطلق الإنسان متعالياً عن قيود الأهواء والشهوات التي تكبّله وتشغله عن أداء دوره في الحياة وفي ارتقائه الروحيّ، وإسهامه في تحقيق الهدف الذي خُلق من أجله، وهو باب من أبواب الرزق بأسبابه الطبيعيّة المقرونة بالرعاية الإلهيّة، حيث ورد عن رسول اللهﷺ: «**اتخذوا الأهل، فإنّه أرزق لكم**»[3] .

وإنّ الزواج بالشكل الذي أقرّه الإسلامُ حَفِظَ للمرأة كرامتَها ومكانتها، وللرجل شرفَه وعِرضَه، وجعل من هذه العلاقة سياجًا يحمي الطرفين من الخطأ، وجعل من هذه الأسرة نواةً لبناء مجتمع مسلم طاهر عفيف؛ لهذا لا بدّ أن تحقِّق إجراءات الزواج تلك الغايةَ، وقد راعى الإسلام ذلك، فجعل لإتمام الزواج مراحلَ ومراسمَ؛ فهناك الخِطبة، ثمّ عقد الزواج، فالزفاف، وكلّ هذه مراحل من باب تكريم هذا العقد بكلّ آثاره الحقوقيّة، وإعطائه قوةً ونفوذاً في المجتمع. وبالإشارة إلى بعض مقدمات الزواج نجد أنّه قبل الخِطبة لم يَعرِف الإسلام إجبارَ أحد طرفي الزواج عليه، بل لا بدّ من تحقُّق القَبول والموافقة التامة، المبنيَّة على المعرفة الكاملة والرضى التام.

توصية وتوجيه

يخوض الشاب مع الفتاة تجربة الزواج المثيرة ولدى كلّ منهما رؤاه وأحلامه وآماله العريضة، وعادة ما يعطي الخيال مساحة واسعة من معلومات كل منهما عن الطرف الآخر، وعلى هذا يبدآن بناء حياتهما المستقبليّة مع جهلهما بإمكاناتهما وقدراتهما، وما يحمل كلّ واحد منهما من قيم وثقافة.

ولهذا تحتاج الحياة الزوجيّة المشتركة إلى مجموعة من القواعد والضوابط التي لا يمكن استمرار الحياة بدونها، ذلك أنّ الحياة إنّما تقوم على المودّة والحب لكي يمكن العيش في ظلال من الطمأنينة والسلام، ويمكن من خلالها الوصول إلى الكمال المنشود؛ وذلك لأنّ الحياة دون حب وتضحية وتسامح لا معنى ولا قيمة لها، والحياة دون المودّة والاحترام المتبادل حياة مذلّة لا قيمة لها.

ومن القواعد المهمة التي يحتاجها المتزوّجون أو المقدمون على الزواج والتي تعزّز هذا البنيان وتمنحه المنعة والقوة من الاهتزاز أو التفكّك، تعزيز التكامل بين أدوار كلٍ من الزوج والزوجة في الأسرة ومشاركتهما معاً في التربية الأسريّة، وإحاطة الأسرة وجميع العلاقات بين أفرادها بالمودّة والرحمة والأنس والسكن، وإعطاء الرجل دوره الطبيعيّ في القيمومة على المنزل، وتحمّله مسؤوليّة الانفاق على الأسرة وإدارة شؤونها. وإعطاء القيمة اللائقة لوظيفة المرأة وتكليفها الأساس، والالتفات إلى الشأن الإنسانيّ والمحوريّ للمرأة وأدوارها المتعددّة في الأسرة، والعائلة، ولا سيّما على المستوى التربويّ، وحفظ دورها فيه، وهو بناء المجتمع الصالح الذي يبدأ من التربية الأسريّة. ومواجهة النظرة التي تعتبر الأمّ غير العاملة عاطلة عن العمل. وفوق ذلك كله لا بدّ من تكريس أهمّيّة الأسوة والقدوة من قبل الأبوين معاً.

رئيس التحرير
حسن أحمد الهادي

1- النوري، حسين: مستدرك الوسائل، ط2، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، بيروت، 1408هـ ، ج14، ص: 152.

2- الحرُّ العاملي، محمد بن حسن: وسائل الشيعة، ط2، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، قم، 1414هـ ، ج20، ص: 14.

3- (م.ن)، ص: 15.

الباحثون عن الله ... (2)

د. نور الدين أبو لحية
أستاذ جامعي ومفكّر إسلامي ـ الجزائر

وصلنا في الحلقة الأولى (1)، إلى أنّه يستحيل على الله سبحانه أن يترك الإنسان من غير أن يعرّفه بنفسه، لكن:

كيف يمكن أن يعرف الإنسان ربّه؟

نكمل في هذه الحلقة تتمة الحوار السابق...

قلت: فكيف نصل إلى تلك المعرفة؟

قال: بالسّيريْن؛ السّير العقليّ... والسّير الحسيّ..

قلت: فهل سرتَ مثل هذا السير؟

قال: لقد رزقني الله في رحلة من رحلاتي مَن اختصر لي كثيراً من الأسفار.. ورزقني الله في تلك الرحلة من الأشعّة الهادية إلى شمس محمّد ﷺ ما لا يمكن للعقل وصفه...

قلت: فهل ستحدّثني عنها؟

قال: نعم، فلا يمكن لمن لم يتنعّم بهذا النوع من الأشعّة أن يعرف محمّداً ﷺ

ولا يعرف محمّداً ﷺ من لا يعرف الله...

اعتدل الشيخ الصالح في جِلسته، وحمد الله، وصلّى على نبيه ﷺ.. ثم قال: في يوم من أيّام الله المملوءة بالنفحات والبركات شعرت فجأة بمشاعر ملحّة تدعوني للبحث عن الله...

بدأني ذلك الشعور، وأنا أنظر إلى المرآة.. وقد أرعبني ما رأيته من شيبٍ يشتعل في رأسي، كما يشتعل النار الهشيم..

لم أحزن في ذلك الحين على دنياً فاتتني، فقد بدأ الزهد يملأ قلبي أنفة من الدنيا ورغبة عنها

ولكنّي عندما تذكرت (الله) امتلأت همّاً وغمّاً...!!!

وقلت لنفسي: ها هو قطار العمر يمضي إلى محطّته النهائيّة ...

جلست مع الكلّ، ولكنّي لم أجلس مع الله لحظة واحدة!!

واتصلت بالكلّ، ولكنّي لم أتصل بالله!!

وبحثت عن الكلّ، ولكني لم أبحث عن الله!!

أصابني ألمٌ عظيم، وأنا أردّد في ذهني المقولة التي

1- يراجع: العدد الخامس، الباحثون عن الله، ص6.

سمعتها كثيراً في جميع ديار الإسلام:

إلهي ماذا وجد من فقدك.. وماذا فقد من وجدك!!!!

في تلك الأيام كنت أردّد هذه العبارة كثيراً، إلى أن سمعني مرة أخي، وكان رجلاً من كبار رجال الكنيسة، فاستدعاني إلى مكتبه، وقال: أعرف المشاعر التي تشعر بها... لقد مررت مثلك بهذه المرحلة، ولم يعالجني منها إلا مؤتمر كبير لعلماء اللاهوت.. حضرته.. وهناك عرفت الله، واتصلت به، وسمعته...

قلت: ألا يمكن أن تُكرّر مثل هذه المؤتمرات؟

قال: من حسن حظك أنّ ثمّة مؤتمراً سينعقد قريباً في البلاد التي كانت مقرّاً للشيوعية في يوم من الأيّام... نحن نريد أن نعيد إحياء الإله الذي قام الشيوعيّون بقتله هناك.. وقد أرسلت إليك لأجل ذلك.

قلت: وما دوري في هذا المؤتمر؟

قال: سأرسلك مرافقاً للهيئة العلميّة التي يرسلها الفاتيكان لحضور هذا المؤتمر... وكلّ هذه الهيئة من العلماء الراسخين في العلم ممن تثق الكنيسة بقدراتهم.

قلت: ما أعظم سروري بهذه الوظيفة!

قال: فحضّر نفسك لحضور هذا المؤتمر، فليس بيننا وبينه إلاّ أيّاماً معدودات.

***

كانت الأيام التي انتظرت فيها تلك الرحلة الموعودة طويلة ثقيلة ومُملّة..

كنت أرقب قرص الشمس كلّ يوم في انتظار تلك اللحظات التي أسمع فيها الحديث عن الله...

لأنّني تيقّنتُ أنّه لا يمكن أن أتصل بالله إلاّ من خلال معرفتي به...

في عشيّة تلك الرحلة قدّر الله لي أن ألتقي برجلٍ صالح من أهل الحكمة...

قبل غروب الشمس بلحظات كنت بجانب بيتي أسير... فإذا بي ألمحه من بعيد... أسرعت إليه.. وأمسكت بيده، وقلت: ها أنت أخيراً بجانب بيتي.. لا بدّ أن تدخله... لا بدّ أن أتشرّف باستضافتك اليوم...

نظر إليّ مبتسماً، ثم قال: أترى أنّ دخولي بيتك سيسرّك؟

قلت: لا يسّرني شيء مثل دخولك بيتي

قال: لِمَ؟

قلت: أراك رجلاً ممتلئاً بالحكمة.. وليس هناك أشرف من أن تدخل الحكمةُ بيتي

ابتسم، وقال: وكيف تدخل الحكمة إلى البيوت؟

قلت: بدخول أهلها.. إذا دخل الحكماء دخلت الحكمة معهم.

قال: ألا أدلّك على من هو أشرف منّي وأكرم.. وهو أولى منّي بالدخول إلى بيتك؟

قلت: من هو؟

قال: إنّ مهمتي هي الدلالة لا التعريف؛ لذلك سأصفه لك.. لتبحث عنه، ثم تدخله بيتك... بيتك الذي لا تنهدّ جدرانه.

قلت: أهناك بيتٌ لا تنهدّ جدرانه؟!

قال: نعم... هو بيتك الحقيقيّ الذي يسير معك حيث

رحلت، ويأوي معك حيث أويت

قلت: أراك تقصد قلبي؟

قال: أقصد قلبك وعقلك وروحك وحقيقتك... هي بيتك الحقيقيّ الذي لا تفارقه ولا يفارقك.

قلت: فصف لي من تراه أهلاً ليسكن فيه.

قال: لا تُدخل بيتك معدوماً.. فالعدم هباء... ولن تنال من الهباء إلا ما يناله الظمآن من السراب.

قلت: فما الثانية؟

قال: إن اجتمعت الحكمة في واحد.. فاكتفِ به، فلن يفيدك التعدّد إلاّ التشتّت، ولن يفيدك التشتّت إلاّ التمزّق والضياع.

قلت: فما الثالثة؟

قال: لا تُدخل بيتك مدنَّساً.. فالمدنَّس يوشك أن يدنِّسَك، ويدنِّس حقيقتك..

قلت: فما الرابعة؟

قال: لا تُدخل بيتك إلاّ كاملاً اجتمع له الكمال بجميع معانيه.

قلت: فما الخامسة؟

قال: لا تُدخل بيتك إلا بديعاً اجتمع له الجمال بجميع معانيه.

قلت: فما السادسة؟

قال: لا تُدخل بيتك إلا من لا ملك لأحد عليه.. وهو فوق ذلك ملك الملوك.

قلت: فما السابعة؟

قال: لا تُدخل بيتك إلاّ عدلاً اجتمع له العدل بجميع معانيه.

قلت: فما الثامنة؟

قال: لا تُدخل بيتك إلاّ رحيماً اجتمعت له الرحمة بجميع معانيها.

قلت: فما التاسعة؟

قال: لا تُدخل بيتك إلاّ الودود المحب الذي لا يريد لك ولا يريد منك إلا الخير.

قلت: فما العاشرة؟

قال: لا تُدخل بيتك إلا المقصود في كلّ الحوائج..

قلت: أراك تشير إلى الله.

قال: إن كان (الله) هو اسم الذي ذكرت أوصافه.. فلا يصح للعاقل أن يغفل عن البحث عنه، أو يغفل عن الاتصال به.

قال ذلك، ثم سار، وتركني كعهدي به.

***

في صباح اليوم التالي قصدت المطار... وهناك رأيت عشرة من الرجال.. كلّهم قد امتلأ شعره بالشيب الذي ملأ شعري... بل إنّ بعضهم أحنَتْ ظهره الأيام، فطأطأ رأسه لها.

سلّمت عليهم... ثم ركبنا الطائرة... وقد قدر الله أن لا نصل إلى مبتغانا؟!!!

لماذا لم تصل الطائرة؟!

هذا ما سنعرفه في الحلقة الثالثة من العدد القادم بإذن الله.

الشباب والحياة الزوجية

- نحو حياة زوجيّة طيبة..
  د. أحمد علي الشامي
- سعادتكم رهنُ محبّتكم
  د. فادي ناصر
- الحبّ في ميزان الواقعيّة
  الشيخ عباس إبراهيم
- العزوبيّة خيار الشباب أم المجتمع؟!
  فاطمة نصر اللّه
- عقبات على طريق المودّة
  بتول شاهين
- ظاهرة الطلاق عند جيل الشباب!!
  معتصم أحمد قوتة

نحو حياة زوجية طيّبة

د.أحمد علي الشامي
باحث اجتماعيّ وأستاذ جامعيّ ـ لبنان

لا شكّ أنّه لا يمكن لمقالة أن تتناول موضوع الزواج الناجح عند الشباب من كلّ جوانبه؛ لما يُثار حوله من إشكاليّات تجعله أكثر تعقيداً، لكن ذلك، لا يعفي من ضرورة التصويب على الفاعل الأشدّ تأثيراً في إثارة تلك الإشكاليّات وطرحه في هذه المقالة.

في هذا المجال، يُلفت الباحث في الاجتماع الإنسانيّ إلى مستوى الاهتمام المتنامي بمسألة الزواج وتشكيل الحياة الأسريّة، ولا سيّما لدى الشباب، والذي يدفع نحو مزيد من الفضول العلميّ هو أنّ هذا الاهتمام يكثر في المجتمعات الغربيّة، على خلاف الانطباع السائد بأنّ الأسرة لم تعد تتصدّر قائمة الأولويّات في تلك المجتمعات.

فبمجرّد أن يضغط الباحث على محرّك البحث الإلكترونيّ تبرز أمامه سلسلة من الدراسات العلميّة التي تنشرها مراكز دراسات غربيّة، والتي تكاد تُجمع على أهمّيّة زواج الشباب، وما يُحدثه ذلك من تأثيرات إيجابيّة عليهم وعلى المجتمع عامّة.

بينما تكثر في مقابل ذلك المؤشّرات التي تتحدّث عن تراجع ملحوظ في المجتمعات الشرقيّة في الإقبال على الزواج

وتشكيل الأسرة، ولا سيّما، في المجتمعات ذات الثقافة الإسلاميّة، وهذا يتعارض مع الثقافة الدينيّة التي تولي اهتماماً بالغاً بالتزويج، حيث تعتبره كمالاً للإنسان. فالأدبيّات الإسلاميّة التي تحثّ على الزواج واسعة ومتنوّعة، منها، ما ورد عن الرسول الأكرم ﷺ: «**ما بُني بناء في الإسلام أحبّ إلى الله عزّ وجلّ من التزويج**»[1].

فالمسألة تتجاوز كونها مجرّد أزمة ثقافيّة؛ لأنّ الأدبيّات الإسلاميّة ذات الصلة لا تزال تنساب ضمن أطر المجتمعات الإسلاميّة، الضيّقة منها والواسعة، فما أن يبلغ الشاب عمراً معيّناً حتّى يصبح عرضة لأكثر الأسئلة تداولاً: متى سنفرح بك؟ ويتبع ذلك استحضار تلك الأدبيّات التي تضع الشاب المنكفئ عن الزواج، في موضع المخالف والعاصي لتعاليم دينه الحنيف، وهذا ما يعفي المقال من حاجة الإسهاب في الحديث عن أهمّيّة التزويج.

لكنّ الذي يستحق التوقّف أمامه، ما يتضمنه الميل السلبيّ عن الزواج في مجتمعاتنا من تبريرات دفاعيّة، وفي مقدمتها، أنّ الزواج لم يعدّ مصدراً للسعادة، حيث يستدلّ على ذلك بمؤشّرات ما عادت خافية على أحد تتناول الارتفاع المتنامي لمعدّلات حالات الإعراض عن الزواج والانفصال بين الأزواج.

في الحقيقة، إنّ ما يقدّم من تبرير هو انعكاس لقراءة غير موضوعيّة لتلك المؤشّرات السلبيّة، وخاصّة حين يتمّ تعميم التجارب الفاشلة في الزواج على الزواج بشكل عام. وهنا، من المفيد قراءة معطيات الدراسة التي أجراها باحثون من «كلّيّة فانكوفر» البريطانيّة[2]؛ لاستطلاع ما إذا كان الزواج مصدر سعادة أم لا؟ حيث كشفت الدراسة التي جُمعت بياناتها من حوالي 30 ألف شخص، بين عامي 1991 و 2009، أنّ المتزوّجين منهم يشعرون بالسعادة والارتياح بالحياة أكثر من العازبين. وقال البروفيسور «جون هليويل»، المشارك في إعداد الدراسة، أنّه مع مرور سنوات من الزواج لا يزالون أكثر ارتياحاً. وخلُصت الدراسة إلى استنتاج واضح وجليّ، بأنّ أُولى دوافع عدم انخفاض مستوى السعادة في الزواج مع مرور الوقت، هو الاختيار الصحيح للشريك.

لقد لامست الدراسة البريطانيّة أكثر العوامل تأثيراً في نجاح الحياة الزوجيّة أو فشلها، فما من عصر من العصور قد خلا من أشكال التحدّيات والعوائق والمنغّصات، وإن اختلفت بين عصر وآخر، ومع ذلك بقيت الحياة الزوجيّة تنتج عبر الأسرة أفراداً، منهم من يدفع مجتمعه نحو التقدّم، ومنهم من يدفعه نحو التخلّف، ويعود ذلك إلى جملة من العوامل، يتقدّمها مستوى الالتزام بالمعايير الصحيحة لاختيار للشريك.

وبناءً عليه، فإنّ القراءة التي يمكن أن تؤسس لعلاقة زوجيّة ناجحة كنتيجة، يجدر بها ابتداءً بيان المعايير التي تمكّنها من ذلك، بوصفها مقدمات أساسيّة. وفي هذا المجال، نستحضر المعايير التي أوصانا بها القرآن الكريم وأهل بيت النبوّة ﷺ، وبما أنّ المجال لا يتسع للإحاطة بكل هذه المعايير، نكتفي بذكرها بعضها:

أولاً: التديّن لا الدين فقط: إنّ أولى المعايير في اختيار الشريك، هو معيار التديّن، وفي هذا المجال، يجب إزالة التباسَيْن يُعيقان المقاربة الموضوعيّة لهذا المعيار الأساس، أوّلها، أنّنا عندما نرجع إلى قول الرسول الأكرم محمّد ﷺ: «**عليك بذات الدين**»[3]، يذهب بعض الأشخاص إلى أنّ الرسول ﷺ قد خصّ المرأة بهذا المعيار دون الرجل، مع أنّ الحديث قد جاء في معرض إجابة أحدهم عن سؤال حول مواصفات الزوجة الصالحة له، وما يدلّ على أنّ هذا المعيار هو للرجل كما هو للمرأة، كثرة الأحاديث التي تضمّنتها سيرة أهل بين النبوة ﷺ

1- النوريّ، حسين: مستدرك الوسائل، ط2، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، بيروت، 1408هـ، ج14، ص: 152.

2- يراجع: دراسة بريطانيّة: الزواج يجعلك أكثر سعادة، موقع اليوم السابع الإلكترونيّ، بتاريخ 19 ديسمبر،2017.

3- الكلينيّ، محمد بن يعقوب: الكافي، ط3، دار الكتب الإسلاميّة، طهران، 1367هـ، ج5، ح1، ص: 332.

حول معيار التديّن للزوج الصالح، منها على سبيل المثال لا الحصر، ما يُروى عن الإمام الحسن بن عليّ ﷺ عندما جاءه رجل يستشيره في تزويج ابنته، فقال له: «**زوّجها من رجل تقيّ، فإنّه إن أحبَّها أكرمها، وإن أبغضها لم يظلمها**»[1].

أمّا الالتباس الثاني، فهو أنّه كثيراً ما يقع الخلط بين الدين وبين التديّن، فالأوّل يصلح في جانب منه لحلّية أصل الزواج، ولكنّه ليس كافياً لاختيار الزوج المناسب؛ فكثير من الشباب يركّزون على طائفة الشريك ومذهبه أكثر ممّا يركّزون على حقيقة تديّنه، وشتّان بين من يكتفي بحمل اسم الدين وبين من يعمل به. فالتديّن هو الصفة الملازمة للإنسان الذي يؤمن بأنّ الله يراه في كل نواياه وأفعاله؛ لذلك، يحرص على عدم المعصية؛ وعندما يكون الدين هو الحبّ، يغدو الظلم مظهراً للمعصية.

ثانياً: جمال الداخل قبل الخارج: دعونا نسلّم بأنّ الاختيار بالإكراه أو بالواسطة قد انحصر كثيراً، ما يعني، أنّ أغلب حالات الاختيار باتت تتمّ بالاختيار، ومع ذلك، يقف من يُجري معاملات الطلاق مندهشاً، عندما يسمع من أحدهم أنّه ما عاد يطيق النظر إلى الطرف الآخر والعيش معه، على الرغم، من امتلاك هذا الآخر لمواصفات خارجيّة تخالف هذا الشعور. ولكن السبب في الحقيقة هو أنّه عندما تمّ الاختيار قد جرى تجاوز واحدة من أهم المعايير التي حددها الرسول الأكرم محمّد ﷺ للزوجة المناسبة في قوله: «إيّاكم وخضراء الدِّمَن، قيل: يا رسول الله وما خضراء الدِّمَن؟ قال: «**المرأة الحسناء في منبت السوء**»[2]. وهذا المعيار الذي قيل بحق الزوجة ينطبق على الزوج أيضاً، ففي رواية عن حسين البشّار قال: كتبت إلى أبي الحسن ﷺ: إنّ لي ذا قرابة قد خطب إليّ وفي خُلُقه سوء، فقال: «**لا تزوّجه إن كان سيّئ الخلق**»[3].

1- الطبرسيّ، رضيّ الدين: مكارم الأخلاق، ط6، منشورات الشريف الرضيّ، (لا م)، 1392هـ ص: 204.

2- الكليني، الكافي، (م. س)، ج 5، ص: 332.

3- المجلسيّ، محمد باقر: بحار الأنوار، ط3، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، 1403هـ، ج 100، ص: 235.

ثالثاً: التكامل لا النِدّيّة: ليس من المبالغة القول إنّ تسلل فكرة المساواة الكليّة بين الذكر والأنثى إلى شخصيّة الشريك، باتت تقف خلف كثير من الخلافات الزوجيّة، فهذه الفكرة التي تنتشر في مجتمعاتنا والتي تتعارض مع الدين الإسلاميّ، ترى بأنّ الأنثى مثل الذكر، لها ما له وعليها ما عليه؛ ولذلك نجد أنّه عندما ينتفي الاختلاف يسقط التكامل، فتكون الندّيّة هي الحاكمة بين الشريكين. وهي بذلك، تتعارض مع حقيقة تكوينيّة أشار إليها خالق الخلق، في قوله تعالى: ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضاً سُخْرِيّاً﴾[4]؛ أي في تسخير القدرات المتفاوتة ليعيْن كلّ منهما الآخر -التفاوت بينهما في الاستعدادات الجسميّة والنفسيّة- دون أن يكون لهذا التفاوت ارتباط بالنقص أو الكمال؛ فالحياة الاجتماعيّة حتى تعمر، إنّما تحتاج إلى هذا التكامل، فهي تحتاج على سبيل المثال، إلى قوّة جسديّة في الرجل، كما أنّها تحتاج إلى قوّة عاطفيّة في المرأة؛ لذلك فإنّ واحدة من عوامل نجاح الزواج، هي ضرورة الاتفاق المسبق حول هذه المسألة الجوهريّة قبل الإقدام على الزواج؛ لأنّها ستحدّد أسس العلاقة بين الشريكين وفي إدارة المنزل والحياة الأسريّة عامّة.

وفي الختام، بات من الموضوعية الإقرار، بأنّ ما تشهده مجتمعاتنا من نموّ لظواهر سلبيّة، يعود بجانب أساسيّ إلى ابتعادنا عن المعايير التي أوصانا بها القرآن وأهل بيت النبوّة ﷺ، ولا سيّما في اختيار الشريك الصالح، فقد بتنا نتعامل مع هذه المعايير بوصفها ثانويّة، حتى إنّ بعضاً منّا لم يعد يعيرها الأهمّيّة التي تستحق، مقابل تزايد اهتمامنا وتفضيلنا للمعايير المادّيّة، ـ التي يفد أكثرها من خارج ثقافتنا ـ والتعامل معها بوصفها أساسيّة لبناء حياة عصريّة.

علّ الوعي بهذه الحقيقة يُسهم في بناء حياة زوجيّة طيّبة...

4- سورة الزخرف، الآية: 32.

سعادتكم رهنُ محبّتكم

د. فادي ناصر
أستاذ جامعي ـ لبنان

يقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسانُ مِمَّ خُلِقَ﴾[1]؛ هذه الآية المباركة على الرغم من صغرها تعدّ مفتاحاً من مفاتيح الهداية الإنسانيّة، التي تبدأ من معرفة النفس؛ باعتبارها أنفع المعارف، حيث ورد في الحديث الشريف: «**معرفة النّفس أنفع المعارف**»[2]، وذلك لأنّ الإنسان يستطيع من خلالها أن يصل إلى ربّه، كما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «**من عرف نفسه فقد عرف ربّه**»[3].

وفي الحقيقة إنّ معرفة الإنسان لنفسه هي القاعدة الأساس والمحور لأيّ عمليّة تربويّة وتعليميّة، يقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾[4].

حقيقة خلق الإنسان:

إنّ التأمّل في آيات خلق الإنسان يكشف أنّه يمتاز ببعدين أساسين؛ هما: البعد الماديّ، والبعد الروحيّ.

أمّا البعد الماديّ المتشكّل من التراب والطين والصلصال

1- سورة الطارق، الآية: 6.

2- التميميّ الآمديّ، عبد الواحد بن محمد: غرر الحكم ودرر الكلم، ط2، دار الكتاب الإسلاميّ، قم، 1410هـ، ص: 712.

3- المجلسيّ، محمد باقر: بحار الأنوار، ط2، دار إحياء التراث العربيّة، بيروت، 1403 هـ، ج2، ص: 32.

4- سورة المائدة، الآية 105.

والحمأ والفخار وغيرها من التعابير القرآنية، فقد أشارت إليه مجموعة من الآيات الكريمة، منها قوله تعالى: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾[1]، وقوله: ﴿فَإِنَّا خَلَقْناكُمْ مِنْ تُرابٍ﴾[2]، وفي مورد ثالث: ﴿إِنَّا خَلَقْناهُمْ مِنْ طِينٍ لازِبٍ﴾[3]، وغيرها من الآيات الكريمة، التي إذا تمّ الالتفات إليها وإلى أصل خلقة الإنسان وترابية نشأته، فإن ذلك يمنعه من الغرور الذي يعتريه في هذه الحياة، وينبّهه إلى ضرورة الحذر من الوقوع في فخّ الشهوات والرغبات والغرائز التي تجرّه بعنف نحو التراب، فلا يغفل عن وجهته الحقيقيّة، ولا يسهو عن هدفه النهائيّ الذي خلق من أجله.

وثمّة طائفة أخرى من الآيات القرآنيّة، لو تأملنا فيها لاكتشفنا في الإنسان بعداً آخر غير البعد الماديّ الحسيّ الطبيعيّ، وهو البعد الروحيّ الذي عبر عنه القرآن الكريم بالروح، والنفس، والخلق الآخر وغيرها، حيث ورد في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ سُلالَةٍ مِنْ طِينٍ...ثُمَّ أَنْشَأْناهُ خَلْقاً آخَرَ فَتَبارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخالِقِينَ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿إِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَ نَفَخْتُ فيهِ مِنْ رُوحي فَقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ﴾[5].

1- سورة هود، الآية: 61.
2- سورة الحج، الآية: 5.
3- سورة الصافات، الآية: 11.
4- سورة المؤمنون، الآيات: 12-14.
5- سورة ص، الآيات: 71-72.

ضرورة تربية كلا البعدين:

تبيّن الآيات الكريمة بشكل واضح «أنّ الإنسان مكوّن من قبضة تراب ماديّ محسوس يُدعى بـ «الجسد»، و«نفخة روح» غير محسوسة، ولا بدّ من الاهتمام بكلا الجانبين في التربية والتعليم، بحيث يكون العمل عليهما متناسقاً من أجل تطويرهما معاً»[6].

فكما أنّ البعد الماديّ للإنسان ينبغي أن يكون خاضعاً لقوانين صارمة في التربية والتعليم من أجل ديمومته والمحافظة عليه وعلى الحياة المادية

للإنسان، كذلك فإنّ البعد الروحيّ بحاجة ـ أيضاً ـ إلى هذه العملية، بل حاجته إلى ذلك أقوى وأشدّ؛ باعتبار أنّ الأصالة في الإنسان للروح لا للجسد؛ فالأخير ليس سوى أداة ووسيلة من أجل استمرار الإنسان وبقائه في هذا العالم. ورد في الحديث عن الإمام علي عليه السلام: **«إنّ للجسم ستة أحوال: الصحة والمرض، والموت والحياة، والنوم واليقظة، كذلك الروح، فحياتها علمها، وموتها جهلها، ومرضها شكّها، وصحّتها يقينها، ونومها غفلتها، ويقظتها حفظها»**[7].

6- فرهاديان، رضا: أسس التربية والتعليم في القرآن والحديث، ط1، دار الرسول الأكرم، بيروت، 1425هـ، ص: 22.

خصائص الروح:

عندما نتحدث عن الروح، فإننا نتحدّث عن البعد المعنويّ في وجود الإنسان، والذي له صور ومظاهر عديدة منها: النفس، الخيال، العقل، والقلب. ونحن في هذه المقال المختصر سوف نحصر الكلام بالقلب، باعتباره جوهر الحياة الروحيّة عند الإنسان، وأساس حياته العاطفيّة؛ ولأنّ تأثيرات هذا الجوهر النورانيّ ـ المسمى بالقلب ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمنَ بِالْغَيْبِ وَجاءَ بِقَلْبٍ مُنيبٍ﴾[8] أو الفؤاد، ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[9] ـ في القرآن الكريم كبيرة جدّاً على حياة الإنسان وعلاقاته مع نفسه ومحيطه، وعندما نتحدّث عن المحيط والآخر، فلا شكّ أنّ الحياة الزوجيّة هي من أجلى صوره.

أهمّيّة العواطف في الحياة الزوجيّة:

العواطف والمشاعر من الأبعاد الأساسيّة في شخصيّة الإنسان، تنشأ جذورها في القلب وفي الفؤاد،

7- المجلسيّ، بحار الأنوار، (م.س)، ج85، ص: 40.
8- سورة ق، الآية: 33.
9- سورة النحل، الآية: 78.

ولهذه الميول والعواطف الإنسانيّة دور حسّاس في السلوك البشريّ؛ إذ إنّها تتدخل في تحديد مسار الفرد الأخلاقيّ والاجتماعيّ والفكريّ، فنلاحظ تأثيرها بشكل واضح على جسد الإنسان، وعلى خياله وعقله؛ بل على سلوكيّاته ومواقفه المختلفة، وفي جميع أبعاد حياته خصوصاً الحياة الزوجيّة؛ لأنّ العنوان الأوّليّ الذي ينبغي أن يحكم مفاصل الحياة الزوجيّة هو الحبّ، وهو شعورٌ عاطفيٌّ قويٌّ نابعٌ من أعماق الروح الإنسانيّة، يحصل عندما تنجذب هذه الروح نحو من ترى فيه كمالاً ما، فيتعلّق كلّ وجودها به، لتصبح أسيرة له. فالحبّ تعلّق خاص، وانجذاب مخصوص بين المرء وكماله.

وقلب الإنسان لا يتعلّق إلا بمن يرى فيه كمالاً يهواه، ويسعد به، فيميل إليه دون أيّ تفكير أو إعمال للعقل، ومن مصاديق هذا الحبّ العاطفيّ والمعنويّ؛ حبّ الزوج لزوجته وبالعكس، نظراً للآثار الكبيرة المترتبة على هذ الحبّ المتأسّس بينهما لناحية متانة العلاقة، واستمراريّتها، وقدرتها على تحدّي كلّ عوائق الحياة ومصاعبها، وأعباء تربية الأبناء في هذا العصر؛ ولذلك كانت العلاقة العاطفيّة بين الرجل والمرأة آيةً من آيات الله سبحانه التي تورث الزوجين السكينة والطمأنينة، وهو أكثر ما يحتاجان إليه من أجل ديمومة الحياة الزوجيّة، وصيرورتها حياةً ملؤها السلام والرحمة والأنس والسعادة. يقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1].

فالمودّة والحبّ من أصول الحياة الزوجيّة، ومن دونهما تصبح الحياة أشبه ما يكون بالوظيفة الخالية من الروح والمعنى، والتي تؤدي غالباً مع ازياد وتيرة الضغوط الحياتيّة والاجتماعيّة إلى تصدّع الصرح الزوجيّ، حيث يكون عرضة لرياح النزاعات العائليّة العاتية التي تدمّر أركانه مع مرور الوقت، وتجعله خاوياً وضعيفاً، بدل أن يكون كلّ من الزوجين عوناً للآخر ولباساً له كما يقول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾[2] ، واللباس هو ما يستر به الإنسان بدنه، لكنّ الجملتين هنا وردتا من باب الاستعارة؛ فإنّ كلاً من الزوجين يمنع صاحبه عن اتبّاع الفجور وإشاعته بين أفراد النوع، لكونه لباساً[3].

فكما أنّ اللباس يحفظ الجسم من الحر والبرد وأنواع المخاطر، ويستر عيوب الجسم، وهو أيضاً زينة للإنسان، كذلك فإنّ الزوجين يحفظ كل منهما الآخر من الوقوع في الانحراف ومن العيوب، ويوفّر لهما سبل الراحة والطمأنينة، فيصبح كلّ منهما زينة للآخر. و"هذا التعبير يوضّح غاية الارتباط المعنويّ بين الرجل والمرأة ومساواتهما في هذا المجال، فالتعبير جاء للرجل كما جاء للمرأة بدون تغيير"[4].

أصول التربية العاطفيّة والمعنويّة في الحياة الزوجيّة:

ـ الأصل الأول: الاعتقاد بوجود الاختلافات الطبيعيّة بين الرجل والمرأة

يعدّ هذا الأصل من الأمور المهمة جداً، فقد ينظر الرجل

1- سورة الروم، الآية: 21.

2- سورة البقرة، الآية: 187.

3- يراجع: الطباطبائيّ، محمد حسين: الميزان في تفسير القرآن، (لا ط)، دفتر انتشارات إسلاميّ، قم، 1417هـ .ق، ج2، ص: 44.

4- الشيرازيّ، ناصر مكارم: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ط1، نشر مدرسة الإمام عليّ بن أبي طالب، قم، 1321هـ .ق ،ج1، ص: 537.

إلى المرأة من منظاره، وكذلك تنظر المرأة من دون أن يلتفت كلّ واحد منهما إلى أنّه أمام كائنٍ مختلف عنه على المستوى النفسيّ أو الجسديّ.

إنّ عدم إدراك هذه الحقيقة توقع أكثر الأزواج في المشاكل، مع قدرتهما على تلافيها عند أدنى تأمّل في طبيعة تكوينهما وخلقتهما الإلهيّة. يقول الأستاذ مطهريّ حول طبيعة الاختلاف بين المرأة والرجل: "الرجل أكثر وقوعاً في أسر الشهوة من وقوعه في الحبّ، والمرأة أكثر وقوعاً في أسر الحبّ من وقوعها في أسر الشهوة. الرجل يريد امتلاك المرأة، والمرأة تريد تسخير قلب الرجل، الرجل يريد أن يأخذ المرأة، والمرأة تريد أن يأخذها الرجل، المرأة تريد من الرجل الشجاعة والبطولة، أمّا الرجل فيريد من المرأة الجمال والجاذبيّة"[1].

ـ الأصل الثاني: إشباع الحاجات الروحيّة

الإنسان مخلوق عاطفيّ، وإشباع هذا البعد مرتبط بعلاقته مع الآخرين. فالإنسان يسعى بشكل مستمر لإقامة علاقات مع بقية الناس لسدّ هذا النقص وهذه الحاجة الوجوديّة. وتعود جذور هذه الحاجة الروحيّة إلى أعماق روح الإنسان نفسه، ويمكن إشباعها بوسائل مختلفة. يلعب الزوجان دوراً أساسيّاً ومحوريّاً في إشباع هذه الأبعاد، وهذا يضمن الاستقرار النفسيّ والروحيّ. ولن يهدأ بركان حاجات الإنسان المتمرّدة والمتوقّدة إلا بالحنان والمحبة والعطف، ومن وجهة نظر الدين، يشكّل اكتساب السكينة والمحبّة عاملين أساسين في إيجاد العلاقة واستمرارها بين الزوجين.

فالحاجة إلى المحبّة، تعدّ جزءاً أساساً من حاجته، ففي الحديث المروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**قول الرجل للمرأة إنّي أحبّك لا يذهب من قلبها أبدا**»[2].

أما الهدوء والسكينة، فقد جعلهما القرآن الكريم من الأهداف الأساسيّة للزواج، حيث إنّ أنس الإنسان بالإنسان وشعوره بالسكينة في جواره، إنما هو ثمرة استمرار المحبّة، ونتيجة

1- الخامنئيّ، محمد: فلسفة الأنوثة؛ مقدّمة لحقوق المرأة في الإسلام، ترجمة حيدر نجف دار المعارف الحكميّة، ط1، (لا د)، بيروت، 2015م، ص: 142.

2- الكلينيّ، محمد بن يعقوب: الكافي، ط4، دار الكتب الإسلاميّة، طهران، 1407هـ ، ج5، ص: 569.

قيام كلّ واحد من الزوجين بواجباته تجاه الآخر، ومن هذه الناحية كان وجود الزوج من وجهة نظر الدين، إلى جانب زوجه نعمة إلهيّة تستحقّ الشكر والاعتراف بالحقّ[1]. من هنا يقول الإمام زين العابدين عليه السلام في رسالة الحقوق: «**وحقّ الزوجة أن تعلم أنّ الله** -عزّ وجلّ- **جعلها لك سكناً وأنساً، وتعلم أنّ ذلك نعمة من الله تعالى عليك**»[2].

ـ الأصل الثالث: إشباع الحاجات الماديّة والاقتصاديّة

يعتبر إشباع الحاجات الماديّة والجسديّة من الأمور الأساسيّة التي تؤدي إلى الوصال من جهة بين الزوجين، وإلى استمرار هذا التواصل من جهة أخرى؛ بل إنّ أحد التفسيرات التربويّة المهمّة فيما يتعلق بحصول السكينة بين الزوجين، ترتبط بضرورة إشباع هذا الجانب[3]، "فإنّ لها حقّ الرحمة والمؤانسة، وموضع السكون إليها قضاء اللذة التي لا بد من قضائها، وذلك عظيم ولا قوة إلا بالله"[4].

كما إنّ سدّ الحاجات الاقتصاديّة له دور أساس ومحوريّ في تعزيز الرابطة العاطفيّة والمعنويّة بين الأزواج، لذا أكّد الإسلام على مسؤوليّة الرجل في تلبية حاجات زوجته الاقتصاديّة، وتأمين حاجات الأسرة ورفاهيتها، وإشاعة روح اليسر والتسامح؛ لأنّها تعدّ من المسائل الأساس في نجاح العلاقات الزوجيّة[5]. وقد ورد في الحديث الشريف: «**إنّ أرضاكم عند الله أسبغكم على عياله**»[6].

خلاصة القول، إنّ المودّة والرحمة هما أساس الحياة الزوجيّة؛ بهما تصبح النفسان نفساً واحدة، ولا يعود يعمل كلّ طرف لأجل "الأنا" فقط، بل لأجل "نحن"، حيث يتعلّق بمصير شريكه؛ يبادله أفراحه وأحزانه، يتعب لراحته وأمانه. عندها يعيش هو بالراحة والسكينة، ويدرك حقيقة معنى النفس الواحدة التي خلقها الله -سبحانه- بلطفه وحكمته.

1- يراجع: مركز المصطفى العالميّ للنشر والترجمة: أهداف التربية الإسلاميّة، ط1، قم، 1436هـ، ص: 279.
2- البروجرديّ، آغا حسين: جامع أحاديث الشيعة، ط1، منشورات فرهنك سبز، قم، 1380هـ .ق، ج25، ص: 537.
3- يراجع: مركز المصطفى العالميّ، أهداف التربية الإسلاميّة، (م.س)، ص: 280.
4- المجلسيّ، بحار الأنوار، (م.س)، ج71، ص: 14.
5- يراجع: مركز المصطفى العالميّ، أهداف التربية الإسلاميّة، (م. س)، ص281.
6- الكلينيّ، الكافي، (م.س)، ج4، ص11.

الحبّ في ميزان الواقعيّة...

الشيخ عباس إبراهيم
باحث في المجال التربويّ الإسلاميّ ـ لبنان

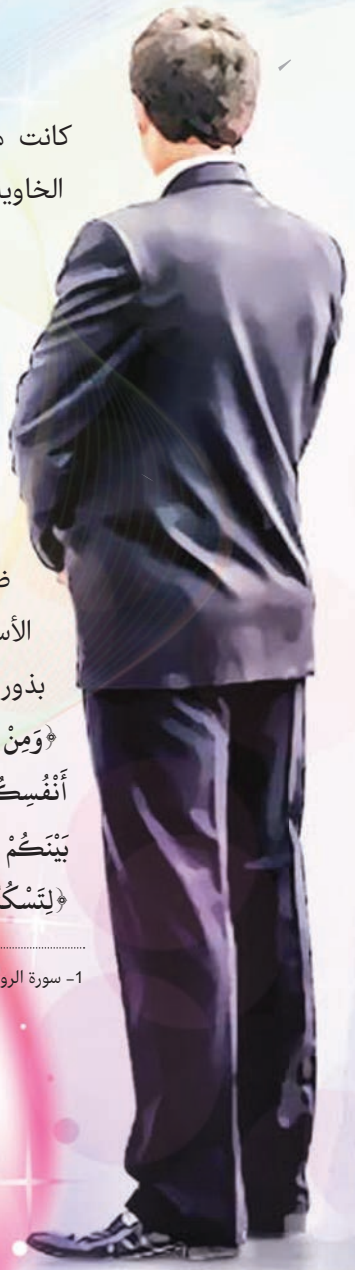

من المفردات المهمّة التي تتردّد كثيراً في حياتنا، وتعتبر منطلقاً للكثير من أعمالنا وعلاقاتنا مفردة "الحبّ"، مفردةٌ صيغت من أبجديّة الوفاء والصفاء والصدق والاهتمام، الحبّ عنوان وعي، وسلوك جمال، الحبّ وطن وهويّة، لكن إذا لم نحسن الانتماء إلى هذه المفردة ولم نفهم سرّها وسحرها وكنْه الطهر فيها، فإنّها قد تتحول إلى شَرَك وحجاب، وتغدو مثل يد الشيطان التي تقودنا إلى الهاوية، وحينها تتبعثر كلُّ ابتسامات الطهر التي كانت مرتسمة على شفاه الوعود الخاوية والنزوات العابرة.

من هنا وجب فهم حقيقة هذا المفهوم كي نصونه عن دنس السلوك الذي لا يمتّ إلى عبق طهره، ويزداد الأمر أهمّيّة عندما نقرأ في كتاب الله أنّ الحب ضمانٌ وسورٌ منيع يحمي الأسرة، ويحرس سكنها، ويروي بذور الأنس فيها؛ إذ يقول تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [1] فإنّ عبارة ﴿لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾ غاية الزواج الذي

1- سورة الروم، الآية: 21.

اعتبره تعالى من ﴿آيَاتِهِ﴾. ومن أجل صيانة سكن السّعادة وحمايته تكفّل المولى -سبحانه- بجعل المودة والرحمة فيه ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾، والمودة هي «**الحبّ الظاهر أثره في مقام العمل**»[1].

معنى الحبّ:

الحبُّ ميلٌ وانجذاب لذات الآخر وكمالاته، وبهذا يفترق عن الأنانيّة التي قد تمارس باسم الحبّ؛ فالحبّ هو **أن تميل للآخر وتؤْثره لذاته لا لذاتك.**

فمن يدعي حبَّ الله -تعالى- ويعبده لأجل أن يرزقه بيتاً أو منصباً -مثلاً- فهو في الحقيقة يحبّ نفسه، وعلاقته بالله نابعة من حبّه لذاته ورغباته لا من حبّه لربّه ومولاه. كذلك فإنّ من يحبّ شخصاً لأنّه يُسَرّ بجماله أو يأنس بحديثه، فهو لم يحبّ ذلك الشخص، بل يحبُّ نفسه؛ فمن يريدك لذاتك هو حبيب، ومن يريدك لذاته هو أنانيّ.

فالمحبّ إذاً هو من «يحبّ الشيء لذاته، لا لحظٍّ يناله منه وراء ذاته، بل تكون ذاته عين حظّه، وهذا هو الحبّ الحقيقي البالغ الذي يوثق به»[2].

الحبّ والأنانيّة في نموذجين:

النموذج الأوّل: «**أنانيةٌ بلون الحبّ**»، وهو المشهد الذي رسمه القرآن الكريم في حكاية نبي الله يوسف ﷺ وزوجة العزيز؛ ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾[3]؛ فزليخة أرادت يوسفَ لنفسها، وعندما استعصم رمته في السجن لتشفي غيظها، وهذا لا يمتّ إلى الحبّ بصلة؛ لأنّها تسلّحت بسلاح الحبّ لتصطاد قلب الشاب الجميل الذي شغل فكرها ومشاعرها، وإن كانت تحبّ فعلاً، فحبّها لذاتها لا ليوسف، ورغبتُها في الوصول إليه لأجلها لا لأجله، وهذا الذي أسميناه «أنانية».

النموذج الثاني:

هو «**مصداق حبٍّ صادق**»

نموذجٌ يجسّده يوسف الصدّيق ﷺ فإنّه عندما وُضِع أمام خيارين: إمّا أن ينقاد لزوجة العزيز ويجيبها إلى ما تريد، وإما أن يختار السجن في سبيل مَن يحب، كان خياره محبوبه، وفي سبيله قال: ﴿السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾[4]؛ فإنّه ﷺ قَبِلَ أن يُسجن ويتحمّل العذاب والمتاعب تقرباً إليه -عزّ وجلّ-؛ فهو صادقٌ في حبّه لمولاه، وشعورُه تجاهه حبٌّ بلا خلاف.

الحبّ بين القلب والعقل:

الحُبّ قانون لا بدّ من فهمه وإدراك كلّ بنوده ليتسنّى للمحبين حياكة سعادتهم بخيوطه ومِغزله؛ ومن بنوده معرفة موقعيّته بين العقل والقلب، فهل القلب هو الذي يأمر

1- الطباطبائيّ، محمد حسين: الميزان في تفسير القرآن، (لا ط)، مؤسسة النشر الإسلاميّ، قم، (لا ت) ، ج16، ص: 166.

2- النراقيّ، محمد مهدي: جامع السعادات، تحقيق السيد محمد كلنتر، (لا ط)، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، (لا ت)، ج3، ص: 109.

3- سورة يوسف، الآيات: 30-32.

4- سورة يوسف، الآية: 33.

العقل ويقوده إلى الخضوع لصوت الحبّ؟ أو العكس؟

يعتقد بعض الأشخاص أنّ الحبَّ شعورٌ وسلوكٌ، لكن ينبغي القول: إنّ الحبّ ليس هو الشعور، بل الشعور من نتائج الحبّ وآثاره؛ لأنّ الحبّ ميلٌ وانجذابٌ؛ ميلٌ تابعٌ للإدراك والمعرفة، فهو فعل العقل لا فعل القلب؛ فإنَّ العقل حين يتعرّف على صفات الآخر يعجب بها وتصبح محطّ تفكيره، فيتولّد من ذلك شعورٌ يستوطنُ القلبَ لينعكس فعلاً وسلوكاً، وهذا الفعل والسلوك هو انعكاس للحبّ وثمرته وليس هو الحبّ نفسه.

يمكن تشبيه الحبّ بشجرة غصونها في القلب وثمارها في السلوك والفعل، لكن جذعها يستقرّ في تربة العقل والروح. ومن هنا يقول العلاّمة النراقيّ: «**الحبّ والكراهية تابعان للإدراك؛ لذلك فإنّهما ينقسمان بحسب انقسام القوة المدركة التي هي الحواس الظاهرة، والحواس الباطنة، والقوّة العاقلة**»[1]؛ أي إنّه لمّا كان الحبُّ قائماً على أساس العقل والإدراك، فإنَّ العقلَ يُعمّم وظيفةَ المُحِبّ على كلّ القوى الخاضعة لسلطته من الحواس والشعور والسلوك والأعمال.

إعادة نظر...

بعدما شددنا وثاق الحبّ بقيود المعرفة وجب إعادة النظر في بعض الممارسات العاطفيّة والسلوكيّة وتصويبها وفق ما تقدّم؛ ليتسنّى تحديد ما ليس من مصاديق الحبّ، وإخراجه عن سياج قداسته، فيبقى الحبّ وحيداً في نقائه، مصوناً عن كلّ العناوين التي تسلّقت أدراج علوّه زوراً واشتباهاً من قبيل: «**الحبّ من أول نظرة**» أو «**الحبّ قبل الزواج**».

الحبّ من أول نظرة:

ما يُعبّر عنه بالحبّ من أول نظرة هو شعورٌ فاقدٌ لشرط الحبّ؛ إذ إنّه سابق لمعرفة كمالات الآخر وواقع صفاته، فهو شعورٌ لا يعدو الإعجاب والاستحسان، ثم يتحوّل بعد المعرفة والمعاشرة إما إلى ميلٍ وحبّ، أو إلى بُغضٍ وكره بحسب ما يتكشّف للعقل من حقائق ودقائق عن ذلك الشخص، فيحكم -العقل- بما يناسب تلك المعرفة من حبّ أو نفور. ومن هنا يقول العلماء: «**لا يتصوّر حب إلا بعد معرفة وإدراك... ولا يحبّ الإنسان ما لا يعرفه ولم يدركه**»[2].

الحبّ قبل الزواج:

عطفاً على ما ورد في كلامنا حول «**الحبّ من أول نظرة**»، نقول: إنّه -بحسب الغالب- قبل الزواج، وفي طور البحث عن الشريك يعمد الفرد إلى إظهار ما عنده بأجمل صورة وأرقاها، ولو أدّى ذلك إلى التصنّع والتزيّن بأدوات إخفاء العيوب والشوائب؛ وبالتالي لا يُظهر غير ما أراد الآخر إظهاره، وهذا يقلّل من إمكانية تمييز الكمال الواقعيّ عما عداه.

وانطلاقاً من المقولة السائدة «**لكلِّ جديد لذّة**»، فإنّ الباحث عن شراكة زوجيّة قد يكون خاضعاً لوهم ما يراه جديداً من سلوك الآخر وأقواله وتصرّفاته؛ وذلك يجعله في غفلة عن تزويد الإدراك والعقل بما يُشكّل قاعدةً للحكم بالميل أو النِفرة؛ ومن هنا يُقال:

1- النراقيّ، جامع السعادات، (م.س)، ج3، ص: 105.

2- النراقي، جامع السعادات، (م.س)، ج3، ص: 104.

«مرآة الحبّ عمياء». وهذا كلّه يقلّل إمكانية تولّد الحبّ الحقيقيّ قبل الزواج، إذا لم نقل بانعدامه لفقد شرطه وهو «المعرفة».

أمّا بعد الزواج فيسقط كلّ قناع، ويظهر الواقع من المزايا والخصائص، وهنا يتولّد الحبّ حقيقة أو يتحوّل وهمُ الحبِّ الذي كان سابقاً إلى هشيمٍ تذروه رياح عين البصيرة؛ لذلك تجد من كانا مضربَ مثلٍ في الانسجام والحبّ قبل الزواج كيف وصلت حالهما بعد فترة قصيرة من العيش المشترك المنزّه عن «ماكياج» السلوك إلى طلاق، ونزاعٍ، وشقاق.

لذلك، فإنّ حقيقة ما يحصل قبل الزواج إنّما هو إعجاب يحسبه الظمآن حبّاً؛ على أنّنا لا ننفي الإمكانيّة العقليّة لحصول الحبّ قبل الزواج فيما إذا توافر شرطه، أي المعرفة الواقعيّة، وساد الصدق كلّ السلوك والتصرّف، ولكن ما ذكرناه من تولّد الحبّ بعد الزواج هو الحكم على الغالب وفق ما نشاهده في الواقع.

الحبّ وسيلةٌ أم هدف؟

من العبارات الرائجة لتبرير تأخير الزواج مع وجود المناسب قولهم **«لم يهتف القلب بعد»**. وهنا نسأل : هل الحبّ وسيلة أم هدف؟

في الحقيقة، إنّ الحبّ ليس هدفاً بذاته، بل هو وسيلة لتحقيق السّعادة في الحياة الزوجيّة، من هنا قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾[1]، فقد جعل الله السكن غاية الزواج. أمّا ﴿المَوَدَّة وَالرَحْمَ﴾ فإنّهما عاملان لتحقيق ذلك السكن، وبالتالي يصبح الحبُّ وسيلةً لضمان بيتٍ زوجيّ سعيد، وإنّ تأخيرَ تشكيل هذا البيت بحجّة انتظار الحبّ هو تفويت للهدف على حساب الوسيلة والغاية.

في قانون الحبّ...

في قانون الحبّ لا بدّ من **«حفظ المراحل»**، فالحبُّ أمرٌ لا يولد ناقصاً؛ الحبّ كالهلال، لا يولد إلا بعد اكتمال دورته، وفي شِرعة الحبّ وقانونِه يجب حفظ المراحل، ومن الخطأ **تحويل فترة التعارف إلى حبّ أو الاكتفاء بمشاعر الاستحسان الحاصلة فيها على أنها حبّ ومودّة، علماً أنّها فترة تؤسس للحبّ، وهي ليست حبّاً.**

وهنا تجدر الإشارة إلى أنّ المطلوب في مرحلة التعارف هو دراسة شخصيّة الآخر بما ينسجم مع الحكم الشرعيّ والبحث عن نقاط الالتقاء وحمايتها، وعن نقاط الافتراق واحتوائها، كي لا تتحول إلى عثرة في مسار السعادة. وهذا يقتضي وعياً كافياً، ونُضجاً مقبولاً لضمان مستقبل مشرق من خلال الدراية في كيفية اختيار الشريك والاستفادة من فرصة التعارف لفهمه وامتلاك مؤشرات أخذ القرار المناسب.

كذلك فإنّ «صون الحبيب وحمايته» من أصول قانون الحبّ؛ فالحبيبُ يصون حبيبه، يصونه من كلِّ ما لا يليق بطهر الحبّ وقداسته، يصونه من كلّ شيء حتى من نفسه. المحبُّ. بحق. هو أحرص الناس على عدم تشويه صورة حبّه بلمسةٍ تنافي عفة الحبّ، أو نظرةٍ لا طهر فيها. كما يحرص المحبّ ـ قبل تماميّة عقد الزواج ـ على عدم إعطاء شريكه المستقبليّ جرعات غنجٍ ودلال تحُرّك ما بطن من مشاعر الشهوة والخيال.

1- سورة الروم، الآية: 21.

العزوبيّة
خيار الشباب أم المجتمع؟!

فاطمة نصر الله مستشارة تربويّة وأسريّة ـ لبنان

العزوبيّة في التعريف القانونيّ وصف للشخص الذي لم يسبق له الزواج من قبل، وفي اللغة من تعزّب ترك النكاح، والعزوب هو الذهاب أو الغياب[1].

تعتبر العزوبيّة ظاهرة اجتماعيّة تطال الذكور والإناث على حدٍّ سواء، مع وجود بعض الفروقات الشخصيّة والاجتماعيّة التي تحكم عزوبيّةَ كلّ منهما، حيث إنّه كثيراً ما تكون عزوبيّة الذكور إراديّة وتعود لعدم رغبة الفرد أو عدم اقتناعه بالتوجّه إلى الحياة الزوجيّة بغض النظر عن الدوافع والأسباب، أمّا عزوبيّة الإناث، فغالباً ما تكون ناتجة عن عزوف الذكور عن الارتباط والزواج؛ فالعادات الحاكمة في مجتمعاتنا الشرقيّة والإسلاميّة تقضي بأن يتقدّم الشاب لخطبة الفتاة، وفي حال لم يحصل ذلك فإنّه، وبحسب العادات والتقاليد، ليس من اللائق أو المقبول اجتماعيّاً أن يحصل العكس، وإن حصل فهو نادر.

هذا وقد أولى علماء النفس والاجتماع اهتماماً بالغاً بالعزوبيّة بوصفها حالة إنسانيّة، وعملوا على دراسة واقع العازبين من النواحي العمليّة، كما درسوا أثرها على إنتاجيّة الفرد، مع إبراز بعض النتائج المتعلّقة بميادين الدراسات وفئاتها المستهدفة، والتي عملت على المقارنة بين فئتي المتزوّجين والعازبين، وقد أظهرت بعض الدراسات[2] أنّ العازبين حافظوا على رغبتهم في التطوّر والتقدّم، كما أنّهم يهتمّون بإنجاز عملهم بطريقة أفضل. وتشير هذه النتائج إلى الجانب العمليّ والمهنيّ، أما الجوانب المتعلّقة بشعور الفرد بالانتماء والاستمراريّة، فلم يتمّ تسليط الضوء عليها بشكل كافٍ.

بالإضافة إلى الاستفادة من الدراسات التي تجري على العديد من الظواهر الاجتماعيّة، فإنّ الملاحظة المباشرة للواقع تشير إلى أنّه يمكننا أن نقسّم العزوبيّة في حياة الإنسان إلى قسمين:

1- يراجع: معجم مقاييس اللغة ابن فارس، مكتب الإعلام الإسلامي، قم، 1404هـ، ج4، ص: 310.

2- يراجع: شبكة النبأ المعلوماتية الالكترونية، لماذا ازدادت العزوبية في عالمنا المعاصر؟، بقلم: مروة الأسدي.

1 - العزوبيّة المؤقّتة:

لا يوجد تحديد واضح لسنّ العزوبيّة في المجتمعات، وليس ثمّة فترات زمنيّة ملزمة لها، إذ إنّ الأمر خاضع بشكل كامل لعادات البيئة المجتمعيّة التي ينتمي إليها كلّ من الشاب والفتاة، حيث إنّ سنّ الزواج خاضع للعديد من الاعتبارات الخاصّة بكلّ بيئة، فما قد يعتبر زواجاً مبكراً في مجتمعٍ ما، قد لا يكون كذلك في مجتمعات أخرى.

إذن فالعزوبيّة المؤقّتة -غالباً- ما تخضع للظروف الحياتيّة المحيطة بالفرد، لأنّه غالباً ما يؤجل الشباب (ذكوراً وإناثاً) خطوة الزواج بانتظار تحقيق بعض المستحقّات الشخصيّة مثل: الدراسة والمهنة وغيرها من الأمور الحياتيّة، كالجهوزيّة الماديّة التي تتمثّل بتأمين المنزل الزوجيّ ومستلزماته. ومع انتفاء هذه الظروف لا يتمّ الإقدام على الزواج.

2 - العزوبيّة الدائمة:

إنّ العزوبية الدائمة خيار إراديّ في حياة الفرد ناتج عن قناعاته وأفكاره التي تكوّنت من خلال تجربته الشخصيّة، وتأثّره بكثير من الأحداث التي واجهها مع نفسه أو مع الآخرين. لكن لهذا الأمر استثناء، وذلك حين يتحوّل هذا الخيار الحُرّ إلى مُلزِم بمكان، حيث يجعل الفرد محصوراً ضمن خيارٍ واحدٍ هو العزوف عن الزواج، ومثال ذلك رفض بعض فئات الشباب (ذكوراً وإناثاً) -وربّما لدى الإناث أكثر- لأيّ فرصة زواج نتيجة شعورهم بالمسؤوليّة تجاه بقيّة أفراد العائلة، سواء أكانوا إخوة وأخوات أو أحد الوالدين أو كلاهما، وذلك للاعتناء بهم بسبب حاجتهم الفعليّة لذلك لأسباب تتنوّع وتتعدّد، حيث يعتبِر المضحّي هنا أنّ إقدامه على الزواج سوف يعرّض هؤلاء الأشخاص إلى الضياع بسبب انشغالات الحياة الزوجيّة ومسؤوليّاتها التي ستقع على كاهله، باعتبار أنّه من الصعب التوفيق بين المهام الرعائيّة المطلوبة منه تجاه هؤلاء وبين مسؤوليّات الحياة الزوجيّة الكبرى.

وثمّة أسباب إضافيّة للعزوبيّة الدائمة، وهي الأفكار التي قد يتبنّاها بعض الأفراد من أنّ الحياة الزوجيّة مسؤوليّة كبيرة جداً تفوق طاقة الإنسان على النجاح فيها، ولا سيما تأسيس الأسرة من خلال الإنجاب وما يترتب على ذلك من بذل الجهود على كافة الأصعدة، بالإضافة إلى الاستعداد المُلزم للإنسان على التضحية وتقديم أجود ما يمكن ماديّاً ومعنويّاً من أجل إسعاد عائلته، هذه الحقيقة قد تكون سبباً مباشراً لشعور الفرد بالقلق حيال الحياة الزوجيّة، ما يدفعه للإحجام عنها والإبقاء على حياة العزوبيّة التي يعتاد عليها، والتي قد تجعل بعض من يعيشونها غير قادرين على الانغماس في الحياة المشتركة سواء أكان ذلك من ناحية الشكل أم المضمون.

كما أنّه لا ينبغي الغفلة عن الأفكار التي تروّج لها العديد من المنظّمات العالميّة تحت عنوان الحياة العصريّة، والتي تعزّز فردانيّة الإنسان وتشجّعه على العيش وفق منظومة الحرّيّة الشخصيّة التي تتيح له الاستمتاع بكلّ مفردات الحياة بعيداً عن الارتباط الزوجيّ الذي يمثل رأس الضغوطات النفسيّة والاجتماعيّة، ما يؤدي إلى الحدّ من إنتاجيّته وازدهاره على كافّة الأصعدة والمجالات.

وثمّة مجموعة من الأسباب التي تدفع الشباب إلى حياة العزوبيّة، أبرزها:

أولاً: واقع الحياة الاقتصاديّ الذي قد يكون سبباً مباشراً للعزوبيّة المؤقّتة أو الدائمة، ويتمثّل ذلك بالآتي:

- غلاء المعيشة وارتفاع الأسعار.

- فشل مؤسّسات الدولة في وضع خطّةَ توجيه مهنيّ أو تخصّصيّ تساعد الفئات الشابّة على التوجّه السليم الذي يعينهم على تأمين حياة كريمة تكون سبباً لاستقرارهم الماليّ والاقتصاديّ ومن ثم النفسيّ والاجتماعيّ.

- ندرة فرص العمل التي تؤمّن للإنسان الحياة الكريمة وفق منظومة الكفاف.

ـ عدم تحمّل الدولة لمسؤوليّاتها تجاه فئة الشباب لجهة تأمين منازل لائقة وفق عروض تتناسب مع أصحاب الدخل المحدود.

ثانياً: واقع الحياة الاجتماعيّة المتمثّلة بالعادات والتقاليد التي ترهق الشباب من حيث تحضيرات الزواج الملزِمة، ومنها:

ـ غلاء المهور.

ـ ربط تحضيرات الزواج وإجراءاته بالمظاهر الفاخرة لحفلات الزفاف المرهقة ماليّاً ونفسيّاً.

ـ التعقيدات المتعلّقة ببعض الاعتبارات الطبقيّة التي قد تشكّل حجر عثرةٍ أمام تحقيق خطوة الزواج في بعض البيئات الاجتماعيّة المعقّدة.

هذه الأسباب وغيرها هي التي دفعت وتدفع الشباب إلى حياة العزوبيّة، علماً أنّ الإسلام أكّد على استحباب الزواج، حيث ورد في الآية القرآنيّة المباركة: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [1].

وعن رسول الله ﷺ أن قال: "**ما بُني في الإسلام بناء أحبّ إلى الله من التزويج**"[2].

هذا التوجيه الذي نطّلع عليه من خلال العديد من الآيات الكريمة، والأحاديث النبويّة الشريفة، إنما هو حثٌّ وتحفيزٌ للفئات الشابّة لترك العزوبيّة كأسلوب حياة، والتوجّه إلى الزواج باعتباره ارتباطاً سامياً.

وهذا الهدف لا يمكن تحقيقه بمعزل عن تحمّل المسؤوليّة المشتركة من كافة فعاليّات المجتمع ومؤسّساته المدنيّة التي تكون الأسرة على رأسها، فهي المهد الأول الذي ينشأ فيه الشابّ -ذكراً كان أم أنثى- منذ ولادته حتى خروجه إلى الحياة شابّاً فاعلاً مؤثّراً في المجتمع.

إنّ التفكير الجمعيّ الذي لا بدّ وأن يكون له التأثير البالغ على واقع الحياة الاجتماعيّة ومسارها الزمنيّ، إنّما يترسّخ ويتقوّى من خلال الوعي الذي يبثّه المهتمون؛ سواء أكانوا من شريحة الشباب أم من غيرهم، وسواء أكانوا آباءً أو علماء دين أو مرشدين موجّهين أو تربويّين وغيرهم.

ومن خلال جهودهم النّقية يكون التغيير...

1- سورة الروم، الآية: 219.

2- النوريّ، حسين: مستدرك الوسائل، ط2، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، بيروت، 1408هـ ، ج14، ص: 153.

على طريق المودّة

بتول شاهين
مرشدة اجتماعيّة للإرشاد السلوكيّ والاجتماعيّ

خطوبة

زفاف، فرحة تغمر

الجميع... ما هي إلا مدّة

قصيرة حتى نبدأ بسماع الشكاوى بين

الأزواج وخاصّة من الشباب الذين يلجأون في كثيرٍ

من الأحيان إلى الطلاق. حيث بيّنت بعض الدراسات

الميدانيّة أنّ النسبة الأعلى من الطلاقات تقع في السنوات

الخمس الأولى للزواج[1].

فما هي الأسباب المؤدّية لذلك؟ وما هي سُبُل حلّها؟

يُعدّ الزواج الرابطة المقدّسة التي تنادي بها الفطرة والشريعة معاً،لحفظ النوع البشريّ وتكاثره، وعمارة الأرض وازدهار الحياة، وهو يجسّد أنبل صور التواصل والترابط والاندماج الروحيّ والنفسيّ، وأجلى مظاهر الشراكة والتعاون لمواجهة مصاعب الحياة، وتفادي المشكلات النفسيّة التي تعيق الفرد من التكامل والعطاء.

1- دراسة ميدانيّة أعدّتها جمعية أمان للإرشاد السلوكيّ والاجتماعيّ حول واقع الطلاق في المجتمع اللبنانيّ بين عامي 2000 و 2010م.

وقد اعتبر الإسلام الزواج أمراً إيجابياً وكمالاً للإنسان، حيث ورد عن الرسول الأكرم ﷺ: «ما بُني بناءٌ في الإسلام أحبّ إلى الله عزّ وجل من التزويج»[1]. لكن -وللأسف- يُلاحظ وجود عديد من المشكلات بين الزوجين التي تحول دون الوصول إلى السعادة المراد تحقيقها من هذا الزواج في الدنيا والآخرة.

فكيف يمكن تحقيق أهداف الزواج، وما سبب المشكلات المؤدّية إلى ضياع هذه الأهداف؟

أولاً: الزواج في الإسلام عقدٌ تحكمه الأخلاق

الزواج في الإسلام مبنيّ على عقد اسمه «عقد زواج»، وبمجرّد أن يتمّ هذا العقد بين رجل وامرأة، فهذا يعني أنّ ثمّة مجموعة من الحقوق والواجبات قد ترتّبت على كلٍّ منهما، أي أنّهما قد وافقا على نمط من العلاقة، وعلى مجموعة من الضوابط، وذلك بمجرّد الموافقة على عقد الزوجيّة. يقول الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2].

وعند مطالعة النصوص الدينيّة التي تتحدّث عن الزواج، يتبيّن بشكل واضح أنّ الله -تعالى- لا يريد للحياة الزوجيّة أن تُبنى على أساس قوانين إلزاميّة، فالتعامل القانونيّ لا يحقّق السعادة المبتغاة من الزواج، بل إنّ ما يحقّقها هو ذلك العطاء الذاتيّ والأخلاق الحسنة بين الزوجين[3].

ثانياً: مفاتيح السعادة الزوجيّة

وضع الإسلام السعادة الزوجيّة في ثلاثة مفاتيح رئيسة، هي:

- **السكن:** يُعتبر الزواج عاملاً لإيجاد الطمأنينة لدى الرجل والمرأة، فهما يشكّلان معاً وجوداً متكاملاً؛ إذ يستند كلٌّ منهما

1- النوريّ، حسين: مستدرك الوسائل، ط2، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، بيروت، 1408ه، ج14، ص: 152.

2- سورة الروم، الآية: 21.

3- يراجع: بركات، أكرم: 3 حقوق لحياة زوجيّة ناجحة، ط5، بيت السراج للثقافة والنشر، بيروت، 2012م، ص: 7.

إلى شريكه، فالمرأة هي موطن سكن الرجل، وهو موطن سكنها.

. المودّة: وهي إظهار المحبّة، والمحبّة هي الميل النفسيّ الّذي يشكّل قاعدةً أساسيّة للتفاهم والانسجام. وهذه المودّة ينبغي أن تُترجم وتظهر من خلال الأعمال.

.الرحمة: لا بدّ أن تظهر في الأعمال على شكل عطاء لا ينتظر مقابلاً[1]، وقد ورد عن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: **«اتّقوا الله في الضعيفين: اليتيم والمرأة، فإنّ خياركم خياركم لأهله»**[2].

ثالثاً: المداخل الرئيسة للمشكلات بين الزوجين

أظهرت الدراسة الميدانيّة التي قامت بها جمعيّة أمان، أنّ أسباب الطلاق كثيرة ومتعدّدة، ونادراً ما يوجد سبب واحد لحدوث الطلاق، بل يكون نتيجة عوامل عديدة تتفاعل وتتراكم لفترة من الزمن قبل الوصول إلى حالة الطلاق، وتنتج أسباباً متشابكة ومتداخلة يصعب الفصل بينها.

وقد جاء على رأس أسباب الطلاق عدم التفاهم وعدم الانسجام بين الطرفين، كما ذكر معظم المطلّقون والمطلّقات أنّ خلافاتهم بدأت في السنوات الثلاث الأولى من الزواج.

ويمكن تحديد المداخل الرئيسة للمشكلات بين الزوجين في الآتي:

ـ الجهل بالاختلافات بين الجنسين.

ـ الجهل بقيمة الحياة الأسريّة.

ـ تفشّي النزعة الفرديّة.

ـ الغفلة عن الحياة الآخرة.

وفي ما يلي نعرض كلاً من هذه الأسباب التي تساعدنا في تخطّي كثير من العوائق التي تحول دون تحقيق السعادة الزوجيّة.

1 - الجهل بالاختلافات بين الجنسين

في كثير من الأحيان تبدأ المشكلات بين الزوجين بسبب الاختلاف الفيزيولوجيّ والنفسيّ بينهما، فكلٌّ يفسّر الحادثة التي تحصل طبقاً لمنطلقاته النفسيّة والفيزيولوجيّة، والأسلوب التربويّ الذي تلقّى من خلاله مفاهيم الحياة في إطار الأسرة.

وفي ظلّ التقدّم العلميّ فقد أصبح التفاوت بين المرأة والرجل محدّداً وواضحاً، وذلك اعتماداً على الملاحظة والتجربة والإحصاء والدراسة الميدانيّة، ونذكر مجموعة من الاختلافات القائمة:

من الزاوية الجسميّة:

* الرجل بشكل عامّ ضخم البنية، والمرأة ليست كذلك.

1- يراجع: مركز نون للتأليف والترجمة، الزواج الناجح، ط1، بيروت، 2013م، ص: 35.

2- المجلسيّ، محمد باقر: بحار الأنوار، ط2، مؤسّسة الوفاء، بيروت، 1403هـ، ج 76، ص: 268.

* الرجل أخشن والمرأة ألطف، صوت الرجل أضخم وأكثر خشونة وصوت المرأة ألطف وأكثر نعومة.

* متوسّط حجم دماغ الرجل أكبر من متوسّط دماغ المرأة، مع أخذ نسبة الدماغ إلى مجموع البدن بعين الاعتبار.

من الزاوية النفسيّة:

* إحساسات الرجل معارضة وحربيّة، وإحساسات المرأة سلمية.

* المرأة أكثر حيطة من الرجل، وأكثر خوفاً.

* عواطف المرأة أموميّة، ويظهر هذا الإحساس منذ مرحلة الطفولة. وللمرأة علاقة أكبر بالأسرة، وهي تلتفت بشكل غير شعوريّ لأهميّة محيط الأسرة قبل الرجل[1].

ومن المهم أن نُلفت إلى أنّ ما ذُكر من فروقات لا تعدّ عيوباً على الإطلاق، بل هي مميزات اقتضتها فلسفة الوجود الإنسانيّ.

2 - الجهل بقيمة الحياة الأسريّة

من المهم أن يضع الشباب نصب أعينهم أنّ قيمة الحياة الأسريّة تكمن في تحقيق الاطمئنان الداخليّ لأفرادها، وبناء المجتمع السليم من خلال بناء الإنسان الصالح.

3 - تفشّي النزعة الفرديّة

لا بدّ أن تقوم الحياة الزوجيّة على مبدأ أساس بعيداً كلّ البعد عن الفردانيّة ألا وهو: «الشراكة»، فالشراكة الناجحة تتطلّب استعدادًا من كلا الطرفين لتقديم التنازل تجاه الآخر، وذلك في سبيل إنجاح هذه المؤسّسة.

وحيث إنّ الأمور تجري بأسبابها، فإنّ زرع أسباب المودّة والرّحمة هي مسؤوليّة الزوجين معاً، فلا ينتظرا أن تنزل عليهما المحبّة من السماء، فلا بدّ لكلا الزوجين من السعي لبناء الأسرة التي يريدها الإسلام.

1- مركز نون للتأليف والترجمة، الزواج الناجح، (م.س)، ص: 37.

4 - الغفلة عن الحياة الآخرة

من المهم أن يضع الشباب المتزوّجون نصب أعينهم أنّ كلّ ما يفعلونه من أجل استمراريّة الأسرة في فضاء من المودّة والرحمة، هو من مسؤوليّتهم، فالدنيا هي مزرعة الآخرة.

رابعاً: سبل الحلول المقترحة

ـ إيلاء مرحلة الخطوبة أهمّيّة كبيرة، والحرص على التواصل والتفاهم على العديد من النقاط، وأن يبيّن كلّ طرف آراءه ومواقفه وشخصيّته على طبيعتها، دون أيّ أقنعة، حتى لا يتفاجأ أحد الشريكين بعد الزواج بشخصيّة الآخر أو بمواقفه.

ـ المشاركة في دورات خاصّة بالمقبلين على الزواج، تتضمّن المعلومات والمهارات التي يحتاجها الشريكان لحياة زوجيّة سعيدة.

ـ أن يهتم كلّ شريك بواجباته تجاه الطرف الآخر، ولا يصبّ تركيزه على ما يجب أن يقوم به الآخر تجاهه فقط.

ـ عند بداية حدوث المشاكل يجب عدم إهمالها، بل ينبغي تدارك تفاقمها من خلال التواصل بين الشريكين، وتحديد أسباب سوء الفهم، وإيجاد الحلول المناسبة التي يرضى عنها الله سبحانه وتعالى.

ـ في حال تفاقم المشاكل، يجب أن لا يتردّد الشريكان في طلب الاستشارة من المتخصّصين في المجال الأسريّ.

أن يكون هدف كلّ شريك إسعاد الطرف الآخر، وتأمين جوّ أسريّ آمن تسوده المودّة والرحمة، ليكون البيئة الخصبة لبناء الإنسان الصالح.

أخيراً، إنّ وعي الزوجين، عامل رئيسيّ في إيجاد الحلّ المناسب لمشاكلهم ضمن الخيارات المتوافرة، بحيث يتمّ من خلال مراعاة مصلحتهم ومصلحة أبنائهم.

ظاهرة الطلاق عند جيل الشباب

معتصم أحمد قوتة
كاتب ـ فلسطين

تمثّل ظاهرة الطلاق ـ باعتبارها ظاهرة اجتماعيّة ـ أحد مظاهر الاختلالات البنيويّة التي أصبحت تميّز المجتمعات العربيّة الراهنة، فالازدياد المضطرد لها أصاب المؤسّسات الاجتماعيّة العربيّة بحالة من «الذهول» جعلها تبحث عن حلول سريعة ـ ومتسرّعة أحياناً ـ لظاهرة هي من التعقيد بدرجة تجعلها مستعصيّة عن كلّ مقاربة انفعاليّة أو استعجاليّة. وتبدو أهمّيّة مقاربتها مقاربة سوسيولوجيّة وعلميّة ممتدّة عبر الزمن، ومؤطّرة مؤسّساتيّاً بشكل يحدّد لها أهدافاً، ويسخّر لها إمكانيّات ووسائل متوائمة مع أهمّيّتها. والأمر هكذا، فإنّ الطلاق يحتاج إلى فهم أسباب حدوثه بغية الوصول إلى إدراك آثاره، ومن ثم العمل على استنتاج حلول ناجعة له.

الطلاق بين الأمس واليوم:

عند الاطلاع على الإحصائيّات الرسميّة وغير الرسميّة يصطدم الباحث والمهتم بالقضايا الاجتماعيّة بتزايد حالات الطلاق في المجتمعات العربيّة والإسلاميّة وغير الإسلاميّة، ويجد أنّ أكثر أسباب الطلاق متشابهة، وإن كانت بعض الأسباب قد اختفت أو قلّت في الأدبيّات والدراسات التي تناولت ظاهرة الطلاق؛ مثل: تعدّد الزوجات أو عدم تنظيم الإنجاب، أو الأمّيّة، أو الفقر المُدقع (الشديد)، إلا أنّنا نجد في المقابل أنّه قد برزت الخيانة الزوجيّة باعتبارها واحدة من أهم أسباب الطلاق بعد أن كانت من الأسباب الثانويّة في أدبيّات ودراسات الماضي، لعلّ ذلك يعود إلى عصر التكنولوجيا، وشبكات التواصل الاجتماعيّ (الفايسبوك والتويتر وغرف الدردشة)، ودورها في عقد علاقات محرّمة بين الرجال النساء، أو نسج علاقات تشوبها الشبهات والانحرافات على أقلّ تقدير. كما أنّ الأمّيّة تراجعت ـ باعتبارها سبباً رئيساً من أسباب الطلاق ـ ليحلّ محلها العلم والثقافة.

ومن المعروف أنّ الأمّيّة قد تراجعت في المجتمعات العربيّة، بفضل الجهود المبذولة في محاربتها، ولكنّنا أصبحنا

أمام أمّيّة وجهل من نوعٍ آخر.. يتمثّل في جهل كلٍّ من الزوجين لمعنى العلاقة الزوجيّة وقدسيّتها، والتي تقوم على الاحترام المتبادل والمحبّة بين الشريكين، كما أنّها مودّة ورحمة وإخلاص وتفانٍ ومسؤوليّة.

مخاطر الطلاق:

ظهر في بعض المجتمعات العربيّة ما يعرف بالطلاق المعلّق أو الصامت، وهو أن تعيش المرأة مع زوجها تحت سقف بيت واحد دون أن تكون هناك علاقة ودّيّة أو جنسيّة بينهما؛ لذا قد يتوهم الناس أنّ هذين الزوجين لم يعرفا الطلاق والانفصال يوماً، ويعود ذلك لعوامل اجتماعيّة، أبرزها الخوف من الفضيحة، والحرص على الأولاد، وما شابه ذلك. ولعلّ آثار ظاهرة الطلاق غير المعلن أكثر خطورة من انفصال الزوجين دون طلاق؛ إذ إنّ الزوجين المُطلَّقين يصيبهما حالة من الاكتئاب والشكّ، وتتحوّل حياتهما إلى جحيم لا يُطاق، وقد تقود إلى حالات انتحار أو دعارة أو زنا، كما أنّ ذلك من أهمّ أسباب تشرُّد الأبناء وضياعهم، أو تأخّرهم دراسيّاً، وضياع مستقبلهم، فبعض الأطفال وهم في عمر الزهور يجد نفسه في الشارع، يتسكّع ليوفّر له ولأمّه لقمة العيش كما في الدول والمجتمعات الفقيرة.

وللأسف، فإنّ دور المؤسّسات الاجتماعيّة الحكوميّة والخاصّة التي تعنى بالطفولة والأمومة والأسرة ضعيف في قدرته على الحدّ من ظاهرة الطلاق؛ وذلك بسبب إمكاناتها المحدودة، وعدم التعاون والتنسيق فيما بينها، وتزايد حالات الطلاق. وتشير الدراسات السابقة إلى أنّ أغلب حالات الطلاق تقع بين الفئات العمريّة الشابّة، أي من 25-30 سنة، وتكون بين حملة الشهادة المتوسطة والثانويّة بشكل أكبر، بالقياس إلى حمَلَة الشهادة الجامعيّة، ويرجع ذلك إلى تعقّد الحياة وتطوّرها، وفقدان القناعة والرضى من حياة الناس.

إن أوّل مَن يتأثر بالطّلاق هم الأبناء الذين يضيعون بين الأمّ والأب، ويغرقون في بحر من المشاكل النفسيّة، ويشعرون بالنقمة والتمرد على المجتمع نتيجة شعورهم بالحرمان من حنان الأبوين وحمايتهما، وهي مشاكل قد تبقى ملازمة للإنسان في كلّ مراحل عمره، أما الزوجة فهي الخاسر الأكبر في مجتمعاتنا العربيّة؛ إذ تحيط بها النظرة السيّئة (بوصفها امرأة مطلَّقة)، ناهيك عما يستتبع ذلك من أحقاد وكراهيّة بين عائلتي الزوج والزوجة، ما يؤدّي إلى تفكّك المجتمع.

لكي لا يقع الطلاق:

لقد أصبح من الضرورة بمكان أن تقوم مراكز مختصّة بتهيئة الشباب المقبلين على الزواج، بحيث يتمّ توجيه النصائح المفيدة حول سبل معالجة المشاكل والخلافات فيما بينهم، وهنا لا بدّ من الإشارة إلى أنّ المشاكل التي قد تبدو صغيرة ينبغي ألا تُهْمَل، لأنّها ستتراكم مع الوقت، وأفضل الأساليب لحلّها هو اعتماد الصراحة والصدق، والاستعانة بذوي الخبرة والحكمة من الأهل والمقرَّبين.

أما الخطوبة فينبغي ألا تقلّ عن السنة، ليتعرّف كل من الشريكين إلى الآخر، وهنا يجب عدم التصنّع والتكلّف خلال تلك الفترة، أما بعد الزواج فالأفضل ألا يحدث إنجاب في السنوات الأولى للزواج، إذ إنّ أغلب حالات الطلاق تقع بين المبتدئين في الزواج، وربما تكون لأتفهِ الأسباب، حيث يصطدم الزوجان بعدم قدرتهما على تفهُّم بعضهما بالشكل المطلوب، وعدم القدرة على التخلّص من مرحلة ما قبل الزّواج، وخاصّة عند الزّوج، وعدم التّأقلم مع المرحلةِ الجديدة المختلفة في حياة كلٍّ منهما.

كما يجب أن يكون الوالدان مثالاً حيّاً وقدوة صالحة في الإخلاص والصدق والتفاني، والسعي لتربية الأبناء منذ الصغر على تحمّل المسؤوليّة، وزرع الوازع الدينيّ في نفوسهم، لكي يكونوا مهيَّئين للزواج، يفهمون معناه، ويقدّسونه، ويقتدون بأسلافهم في حياتهم الزوجيّة.

ختاماً، إنّ الزواج هو عقد شراكة سامية بين الزوج والزوجة من أجل بناء منزلٍ هانئٍ سعيد؛ لذلك ينبغي أن تعتمد هذه الشراكة على الاختيار الحرّ والمتبادل بينهما، دون أيّ نوعٍ من أنواع الضغط أو الإكراه، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يجب أن يتنازل كلٌّ منهما للآخر، لكي يحدث بينهما التفاهم والانسجام اللازمان لبناء دعائم الأسرة والمجتمع؛ بعيداً عن المشاكل التي تكون نتيجتها -غالباً- الطلاق مع ما له من تداعيات سلبيّة على الأسرة والمجتمع.

د. حسن خليل رضا

مسيرة رائدة في العلم والتربية

مريانا إبراهيم

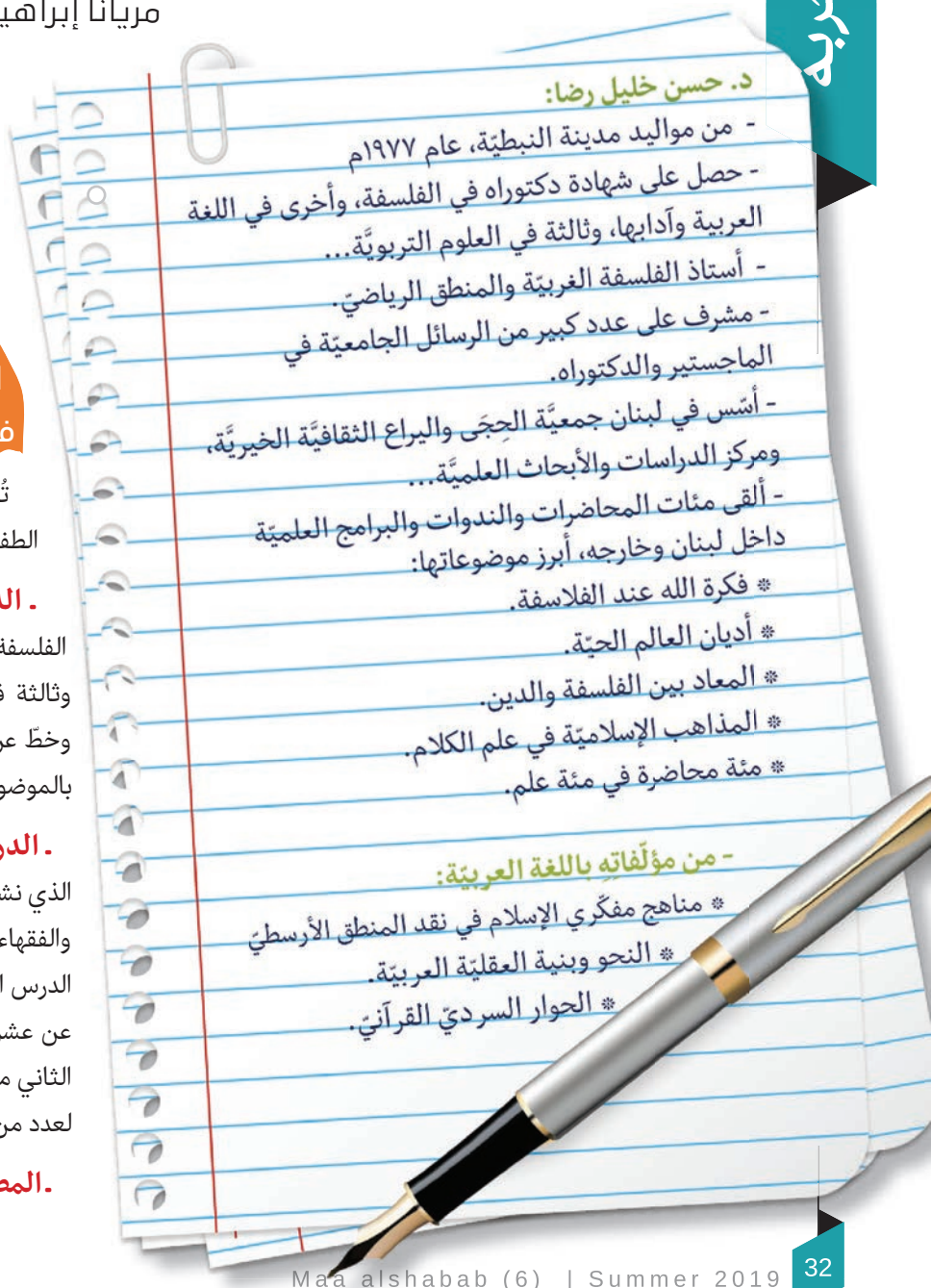

1 - ماذا يحدّثنا د. رضا عن مسيرته العلميّة؟ وما هي المحطّات المفصليّة في حياته؟

تُختزل الخيارات التي اجتذبتني دروبها خلال مرحلة الطفولة الوسطى في ثلاث:

. الدراسة الأَكاديميَّة التي توّجت بحيازتي دكتوراه في الفلسفة والمنطق الرياضيّ، وأخرى في اللغة العربيّة وآدابها، وثالثة في العلوم التربويَّة، وتسنّى لي إنجازها في عمر مبكر، وخطّ عرضيّ، نتيجة تفرّغي التامّ لتحصيل العلم، وشغفي الكبير بالموضوعات التي أتناولها.

. الدراسة الحوزويّة التي ربّما كان للمناخ العلميّ الملتزم الذي نشأتُ في رحابه، وللصداقات التي تربط الوالد ببعض العلماء والفقهاء، علاقة بتنمية الرغبة لديّ بالالتحاق المبكر بحلقات الدرس الحوزويّ، ثمّ تدرّجت فيها بإصرار واجتهاد وانقطاع ما يزيد عن عشرين عاماً بين لبنان وإيران، إذ تابعت على امتداد النصف الثاني من هذه المدّة محاضرات البحث الخارج في الفقه والأصول لعدد من فقهائنا الأجلاّء، وقرّرتُهَا بالكامل.

. المطالعة الموجّهة التي تملأ الفراغ المعرفيّ، وتجبر النقص

في المناهج والمقرّرات المعتمدة في الدراستين السابقتين،

وما فتئتُ أشعر بصلابة اليد التي قادتني بإخلاص ومحبّة وتواضع إلى رفوف المكتبة العامّة، حيث فتح لي أحد أساتذتي البارعين نافذة جاحظة النور إلى المطالعة الهادفة، وانطلقت في الرحلة التي لا سكون لعربتها ما دمت حيّاً بين الكتب والصفحات والسطور، وذلك في مسارين: أحدهما يتوخّى الإحاطة العرضيَّة بالمعارف، لتكوين نمط موسوعيّ، وذلك من خلال مطالعات عامّة وعشوائيّة في مختلف المجالات العلميّة والأدبيّة والاجتماعيّة؛ والآخر يتوخّى الإحاطة الطوليّة بالعلوم، وذلك من خلال تحصيل المقرّرات العلميّة المعتمدة لمرحلة الإجازة في بعض الدول العربيّة، والخوض في مطالعتها بشكل منهجيّ منظّم، إذ انفتحتُ من خلال ذلك على تخصّصات إضافيّة لا تأخذ طابعاً رسميّاً، سواء أكانت إنسانيّة، أم تجريبيّة، مستعيناً في خضمّ هذه المهمّة بنخبة من الخبراء وذوي الكفاءة الذين لم يضنّوا عليّ البتّة بنصائحهم وتوضيحاتهم وإرشاداتهم.

وثمّة آليّات ثلاث توسّلتها في هذا الإطار: إحداها حفظ الشواهد الاستدلاليّة، والقصائد الشعريّة، والتعاريف العلميّة، والنصوص المقدّسة التي أطّلع عليها، وأستشرف فيها القيمة والأهمّية والجدوى؛ والثانية تلخيص الكتب التي أطالعها في نصوص قصيرة، أو تشجيرات مرمّزة، بحيث سمح لي ذلك بحفظ أفكارها، واستظهارها متى احتجت إلى توظيفها أو الاستشهاد بها؛ وثالثها التباحث أو النقاش مع بعض الأصدقاء المهتمين بالمجالات المعرفيّة نفسها في الأفكار والآراء والطروحات التي تتضمّنها هذه الكتب، بهدف تثبيت محتوياتها في الذهن، والتأكّد من فهم بعض المسائل والقضايا التفصيليّة التي انطوت عليها.

2 - هل استطاع المفكر الإسلاميّ اللبنانيّ تحقيق طموحه الذي كان قد رسمه في شبابه؟

إنّ للطموح طابعاً نسبيّاً، وحضوراً مرناً قابلاً للتعديل وفق المتغيّرات، فهو يلازم صاحبه باطّراد، وينمو مع اتساع مخيّلته، وتنوّع تجاربه، وتزايد وتيرة الإنجاز في حياته؛ لذلك كان من الطبيعيّ أن ترافقني في كلّ مرحلة عمريّة طموحات، وبمجرّد أن أراها دانيةً من سِمْتِ التحقّق، أنسج في الأفق الذي تخفيه مؤشّراتُها طموحاتٍ أخرى في سُلَّم لما تنقطع درجاته، وذلك في نسقٍ متّصل بالخبرات التي تتراكم مع امتداد الوقت، والفرص التي تسنح لي كلّما تخطّيت بعض الصعوبات.

وعليه، إذا صحّ تصنيفي للطموحات العلميَّة والعمليَّة التي صبوْت إليها في مرحلتي الطفولة والمراهقة، إلى قريبةٍ ومتوسّطةٍ وبعيدةٍ، وقرأتُها في ضوء محدوديّة عمر الإنسان، وانحصار الواقعيّ منها بالمنطقيّ القابل للتحقّق، فإنّ بإمكاني أن أعدّ نفسي قد حقّقت من هذه الطموحات القريبَ الذي أمدّني بمقوّمات الإنجاز وتقنيّاته، وهيّأ لي المسرح الذي يفتقر إليه دوري، ومساحةً تتجاوز النصف من المتوسط الذي تشكّلت من خلاله منظومتي الفكريّة، وتبلورت خصوصيّة المقاربات المعرفيّة التي شرعت بطرحها، وتألّفت من خلاله النخبة التي تتفاعل مع هذا المشروع، ولا أزال ماخراً عباب السعي بإيمانٍ وإخلاصٍ وتفانٍ في سبيل أن أقطف من هذه الشجرة الباسقة ما يملأ سلّتي، ويلوّن نظري، ويُسكت جوعي.

3 - يتّضح من خلال تتبّع نشاطكم الواسع والمتنوّع، وحضوركم الفكريّ والتربويّ والاجتماعيّ أنّ لديكم تجربة عمليّة مثمرة. ماذا تحدّثنا عنها؟

ترسم مهنة التعليم آفاقاً وفضاءاتٍ رحبةً من التفاعل والانسجام العميقين مع المتعلّمين، لكونها ذات صلة بالمستقبل العلميّ والعمليّ لهم، فمن الطبيعيّ أن يندفعوا إلى خلقِ علاقات بعيدة عن بؤر التوتّر مع أساتذتهم، أو أن تنفتح قابليّاتهم على تلقّف المعرفة التي تُعدّهم لممارسة الأدوار التي يطمحون إليها.

وانطلاقاً من ذلك، كرّست من منبر هذه المهنة أداةً إضافيّة لتثقيف الشباب، وتوعيتهم، وإرفادهم بالمعارف والمواقف والقيم الأخلاقيّة التي تسهم في بناء شخصيّاتهم، وتؤهّلهم لأن يكونوا رساليّين في منطقهم وسلوكهم. وبالرغم من الأثر الواسع الذي خلقته ثنائيّة الدور التي حرصْتُ على مراعاتها في مراحل التعليم ما قبل الجامعيّ خاصّة؛ لأنّ الشباب في هذه المرحلة يكونون عادةً على مستوى عالٍ من الوعي والنضوج والشعور بالمسؤوليّة، إذ تجتذبهم الكلمة الطيّبة، والفكرة المثمرة، والمنطق العقليّ السليم، ويحدّدون بجدّيّة أدوارهم

وقناعاتهم وأهدافهم التي يناضلون في سبيلها، وبإمكانهم أن يميّزوا بين المفاهيم، وأن يحاكموا الأفكار، وأن يدركوا أبعاد الطروحات التي تُملى عليهم.

بيد أنّ التجربة التي أظُنُّها ذات أثر أعمق في عقول الشباب ونفوسهم، هي تلك المسيرة التي شرعت بها في مطلع القرن الحادي والعشرين، إذ عمدت إلى تأسيس منبر علميّ ثابت، أطرح فيه على امتداد العام محاضرات وندوات علميّة وثقافيّة مركّزة، تستهدف الشباب بمختلف فئاتهم، فتبني منظوماتهم المعرفيّة، وترسّخ لديهم القيم الأخلاقيّة والدينيّة، وتجيب على سيول التساؤلات التي تنهال عليهم في خضمّ التجاذبات الفكريّة، والتفاعلات الحضاريّة، وذلك في العصر الذي تداخل فيه العالم الافتراضيّ مع المجال الواقعيّ، وتبوّأت فيه تكنولوجيا الإعلام والتواصل ذروة الحضور الفاعل في حياة الناس بمختلف فئاتهم ومستوياتهم.

وبمحاذاة هذا المنبر العلميّ الثابت الذي اعتنت به «**جمعيّة الحجى واليراع الثقافيّة الخيريّة**»، شرع الشباب المتفاعلون مع هذا النمط من الفكر بتنظيم محاضرات ولقاءات وجلسات حواريّة في القرى والبلدات التي ينتمون إليها، وفاجأني في كلّ زيارة حجم الجمهور الذي يستجيب لهذا اللون من الموضوعات المطروحة، فاستطعتُ تكوين حالةٍ ثقافيّة متميّزة بطابعها العلميّ، ومنهجها النقديّ، ومنطقها الحرّ، تجمع في سبك قناعاتها بين التراث الدينيّ والحداثة العلميّة، ولا ترى للعلم قيمةً إن جُرّد عن العمل، أو أُبعد عن الأخلاق.

ولعلّ من جملة تلك البرامج التي انتظمت منها محاضراتي، واستهدفت الشباب بصورة خاصّة: **فكرة الله عند الفلاسفة، والمعاد بين الفلسفة والدين، والكتب المُقدّسة في أديان العالم الحيّة، والمذاهب الإسلاميّة في علم الكلام، وسواها.** وإلى جانبها محاضرات متخصّصة، تجمع بين الرؤيتين الدينيّة والعلميّة، منها: «الامتداد غير الاعتياديّ لعمر الإنسان بين المعتقد الدينيّ والرؤية البيولوجيّة»، «والتجاوز الخارق لآليّة انسياب الزمان وتدرّجه في التصوّر الدينيّ، وموقف فيزياء الكمّ منه»، وغيرهما.

كما خصّصت للمناسبات التي تحظى باهتمام الشباب مساحة جديرةً بالعناية، لتكون المناخ الرساليّ المناسب لطرح أفكاري ومواقفي إزاء الموضوعات المرتبطة بها.

4 - ماذا يُحدِّثنا د. حسن رضا المفكِّر الشاب عن تجربته مع الشباب الجامعيّ؟ وما هي برأيكم التحدّيات التي تواجه الشباب في هذا العصر؟

بدأت تجربتي مع الشباب الجامعيّ منذ كنت طالباً في مرحلة الإجازة، إذ أتاحت لي خلفيّتي الحوزويّة من ناحية، وقريحتي الشعريّة من ناحية أخرى، أن أتبوّأ صدارة المجلس، وأن أشارك في اللقاءات الشبابيّة داخل الجامعة وخارجها، فتمكّنت من فهم عقليّة الشابّ الجامعيّ وهمومه والأسئلة التي تقلقه، وأدركت حجم الدور الرساليّ الذي ينتظرني على هذا المستوى، وخصوصاً أنّ للجامعيّين وعيّاً نقديّاً من لون خاصّ، يدفعهم إلى فهم القضايا بالاستناد إلى المكوّنات المعرفيّة التي اكتسبوها، وطرح الإشكاليّات التي تفتقر باستمرار إلى معالجات موضوعيّة، ومقاربات حيَّة، ولا سيَّما تلك التي تتّصل بالتراث الدينيّ، سواء أكانت هذه التصوّرات النقديّة وليدة تجاربهم، أم نابعةً من قراءاتهم ومطالعاتهم لأبحاث المستشرقين ونقّاد الفكر الدينيّ.

بيد أنّ هذه التجربة اتسعت وتعمّقت عندما حصلْتُ على شهادة الدكتوراه، فقد سمح لي ذلك بأن أمارس دوراً أكثر فاعليّةً، وأن أكون على تماسّ مباشر مع الشّاب الجامعي في رحلته العلميّة والبحثيّة والمهنيّة، فثمّة كفايات ومعارف وطروحات عليه أن يتلقّفها من محاضراتٍ ذات صلة بمستقبله العلميّ، ومشروعه العمليّ، وإذا أهملها، أو توانى عن تحصيلها، فإنّه يخسر في هذا المجال رتبة المتخصّص، والطموح الذي طالما راوده.

وإزاء ذلك، من الطبيعيّ أن يتأثّر الطالب الجامعيّ ببعض المفاهيم والتصوّرات والمواقف التي يطرحها أستاذه، وأن يندفع إلى طرح هواجسه وأسئلته واستفساراته عليه بجرأة وثقة، وخصوصاً أنّ انفتاحي على المتعلّمين لديّ يكاد أن يكون مثاليّاً، إن لجهة احترامي لهم وتقديري لما يطرحونه، أم لجهة شعوري بالمسؤوليّة تجاههم، واستمتاعي بخدمتهم. وهذا ما دفع فئة كبيرة منهم إلى متابعة محاضراتي حتّى بعد تخرّجهم، والاستمرار في التواصل

معي كلّما تسنّى لهم ذلك، فضلاً عن حرصهم على قراءة أبحاثي ودراساتي وكتبي العلميّة، والاستماع بشغف إلى محاضراتي ولقاءاتي المسجّلة.

وإذا كانت التحدّيات التي تواجه الشباب الجامعيّ كبيرة ومتشعّبة، فإنّها تتّسم بالتعقيد والتأزيم اللذين يتضاعفان أمام تحوّلات العصر الراهن، وهيمنة العقل النفعيّ، واتساع الفساد السياسيّ والاجتماعيّ والأخلاقيّ على مستوى الفرد والأسرة والدولة. فهم على هذا الأساس يعيشون أمام مغريات حادّة، يمكن أن تسلبهم طاقاتهم ومواهبهم وقدراتهم، أو أن تجبرهم على سلوك يتنافى مع قناعاتهم، أو أن تجعلهم فريسة التقليد والانقياد الأعمى لاتجاهات تصادر مواقفهم، وتزيّن لهم ضروب الشرّ بألوان السعادة والبهجة في زمن مثقل بانقلاب المفاهيم، واختلاط الحقائق.

فالتحدّيات الفكريّة تتولّد من فلسفات دخيلة أنيطت بها مهمّة تقويض الهويّة، والحيلولة بين المرء وتراثه، حيث تُعِدُّ متلقّفها للانبهار أمام مقاربات يغمض عينيه في محرابها من غير أن تكون له يد في إبداعها أو نقدها أو تطويرها، ليغدو الشاب بذلك ريشة في مهبّ تشكيكها بعقيدته وقيمه وتراثه، بدلاً من أن تقابلها خيارات فكريّة أصيلة ناظرة إليها شكلاً ومضموناً.

وهي تربويّة سلوكيّة بوضعها أمام هذا الشابّ نماذج ومشاهد تزيّن له أنّ سعادته في اقتفائها، والتنكّر للقيم الاجتماعيّة والدينيّة والأخلاقيّة التي اشتقّها من بيئته، ولعلّ في العالم الافتراضيّ ووسائل التواصل الحديثة التي يتوسّلها، الغنى والكفاية في توفير تلك البدائل التي تمدّه بأنماط سلوكيّة، تخاطب بعده الغريزيّ، وتلقّنه كلاماً وفعلاً يمحوان طابع شخصيّته، بمقدار ما تخدم إيديولوجيّات أخرى منافية لانتمائه التربويّ.

كلّ ذلك يجعل من الدور الذي يمارسه

روّاد الإصلاح تجاه شبابنا الجامعيّين وغيرهم عملاً مقدّساً، ومسؤوليّة إنسانيّة كبرى، وخصوصاً أنّ مهمّةً على هذا المستوى من الخطورة تتطلّب تظافر جهود الغيورين جميعاً من أجل مستقبل الأمّة، وإنقاذ الفئة التي يراهنون عليها، وليس لذي كفاءة أو قدرة أن يرمي محراثه متخلّياً عن هذه الرسالة الإلهيّة والإنسانيّة على حدّ سواء.

5- لديكم تجربة علميّة رائدة، وتُدرّسون في الجامعات اللبنانيّة الفلسفة، والفقه، والبحث العلميّ... وغيرها. ما هي رؤيتكم الاستشرافيّة للشباب، وماذا تتوقّعون أن يقدّموا لمجتمعهم وبلدهم؟

كثيرون هم الشباب الجامعيّون الذين ينكبّون على الدراسة بجدّ واجتهاد وطموح، ويظهرون ضروباً من التفوّق والإبداع، بالرغم من ارتفاع نسبة البطالة، ومحدوديّة الحاجة إليهم في سوق العمل، وعدم تقدير الدولة لمهاراتهم وقدراتهم، بدليل أنّ قلّةً قليلةً منهم أتيحت لهم فرص خارج الوطن، فأبدعوا في إنجازاتهم، ونالوا تقدير الدول والمؤسّسات التي عملوا فيها.

فعوامل الإحباط قائمة، بيد أنّ طموح الشباب الجامعيّ يصارعها بعزم وقوّة وإصرار، ويبتكر الوسائل المذهلة الذي يحقّق من خلالها ذاته، ونراه يقنع بالضئيل من الأجر لعلّه يكمل دراسته، ويطوّر إمكاناته. وجدير بالالتفات ما نعاينه من تضحيات الأهالي بالغالي والنفيس بغية أن يتابع أبناؤهم التحصيل العلميّ في الجامعات، إيماناً منهم بأهمّية هذا الخيار وقيمته، وبأنّ الخلاص بالفعل هو في انتهاج هذا الدرب.

وعليه، فإنّ شباباً على هذا المستوى من الطموح، وبهذه الإمكانات والطاقات الصارخة، لا يمكن إلاّ أن يفتح لهم الإنجاز جناحيه، سواء أتمسّكوا بأرضهم ووطنهم، أم انتقلوا إلى بيئات أخرى؛ إذ إنّ ما حقّقته

الطفرة التكنولوجيّة في مطلع القرن الحادي والعشرين، هيّأ فرصاً لم تكن متوقّعة، وخيارات يمكن أن تخرجهم من أزمتهم، أو من قسوة الظروف التي تكتنفهم.

وربّما يكون من الصعب أن يستفيد المجتمع والوطن من هذه الموارد البشريّة الواعدة، وأن يساهما في تطويرها وإدارتها والتخطيط لها، إن لم يعمدا إلى بناء دولة عادلة، وإرساء فلسفة تربويّة هادفة، بعد محاربة الفساد السياسيّ والاجتماعي والاقتصاديّ الذي أنهكها، وحوّل أحلامها إلى رمادٍ. وهذا في الواقع مشروع يحتاج إلى عقليّة علميّة صادقة ومنفتحة، وإرادة جماعيّة صلبة، تتجاوز الحدود الوهميّة التي رسمها المستفيدون من عبثيّة هذا التراجع والانحطاط.

6- ما هي نظرتكم المستقبليّة للشباب العربيّ؟

ليس من الأدبيّات العلميّة التعميم والإطلاق، ولا إهمال الفروق التي تتمايز في ضوئها الأفراد والجماعات، ولكنّ ثمّة نخبةً واسعة من الشباب العربيّ القابع داخل الحدود الوهميّة لأوطانه، يكادون أن يكونوا مذهلين على صعيد الوعي السياسيّ والاجتماعيّ والثقافيّ الذي يتحلّون به، ناهيك عن البراعة في المجالات التخصّصيّة المتنوّعة التي تُعرب عن قدرات متميّزة، وطاقات هائلة، وكفاءات جديرة بالتقدير، بحيث لو أتيحت لهم الظروف المناسبة، لأفاضوا على أمّتهم بالخير الذي يفوق التصوّر، ولشكّلوا مورداً تنخفض أمام قيمتيه المادّية والمعنويّة قيمةُ الموارد النفطيّة.

غير أنّ المشكلة الحقيقيّة على مستوى عالمنا العربيّ تتجلّى في شقّين: أحدهما ضعف إرادة التغيير أمام السلطة السياسيّة التي أحكمت في الأزمنة السابقة قبضتها على مفاصل الحكم، وقيّدت من حدود المشاركة السياسيّة فيه، فغدا وعي الشباب عملاقًا أمام إرادتهم، وطموحهم غمامة فوق صلادة واقعهم. والآخر تحيّز فئة من هؤلاء الشباب؛ سواء أكانوا واعين بما يُقْدِمُون عليه، أم منقادين غرائزيّاً إلى زعماء فاسدين، وحكّام طغاة، وسياسيّين مخادعين، بحيث يصبحون أدوات طيّعة في أيدي هؤلاء، ينفّذون أوامرهم، ويحافظون على مسلوباتهم، ويقدّمون لهم طقوس الطاعة، غير آبهين بما سيؤول إليه مصير البلاد، ولا مبالين بما يتركه ذلك في جسد الأمّة، وغنيمتهم من هذا الموقف إشباع مؤقّت ومحدود للغرائز والشهوات.

وبالرغم من وجود قيود وحدود، أساسها إبعاد مخيّلة الشباب العربيّ عن الاشتغال بالسياسة، وحصرها بطبقة محدّدة، وإحباط أحلامهم بالتغيير، وتوجيههم نحو مجالات أخرى، لا تشكّل خطراً على السلطة القائمة، ولا تُسقط الفساد الذي يغرسه أعلامها، فإنّ لهذه النخبة الواعية من الشباب دوراً واعداً وعميقاً في إحداث تحوّلات بنيويّة، برزت إرهاصاتها في غير مناسبة، ولكن آثارها الفعليّة لا تشاهد إلاّ بعد عقود، وفي ظلّ تراكمات طويلة العنق إذا صحّ التعبير.

7 - ما هي الرسالة التي يوجّهها د. رضا للشباب؟

أدعو الشباب إلى أن يدركوا حجم الرهان الذي تضمره الأمّة تجاههم، وأن يثقوا بالقدرات التي حباهم الله بها، وأن يكونوا على قدر من المسؤوليّة، بعيداً عن الارتهان والتبرير والانقياد للظلم والفساد السياسيّ والاجتماعيّ والأخلاقيّ، وذلك عن طريق الاحتكام إلى العقل والمنطق والعلم الحديث، والتّمسك بالهويّة والصائب من التراث الثقافيّ، وصيانة مستقبلهم بالقيم الأخلاقيّة والدينيّة؛ لأنّهم الثروة الحقيقيّة لأوطانهم، فلا ينبغي أن يكونوا أداة طيّعة في يد القوى العالميّة، تستغلّهم في تنفيذ سياساتهم، وتُبعدهم عن التعايش والانسجام مع إخوتهم في الوطن والدين والإنسانيّة.

كما أحثّ كلّ واحد منهم على بناء منظومته المعرفيّة بعناية وحرّيّة وإتّقانٍ، وأن يعمل على تحديثها وتطويرها ومحاكمتها مادام قلبه نابضاً بالحياة، وذلك عبر البحث والحوار والانفتاح على الفكر الآخر، واستغلال الوقت في مطالعة المعارف والعلوم، ومتابعة المحاضرات والندوات العلميّة المثمرة التي تزيد من ثقافته، وتفيض عن دائرة اختصاصه الدقيق، وخصوصاً أنّ وسائل التواصل الحديثة جعلت فرصة الحصول على أسباب المعرفة والمشاركة في الفضاء العموميّ متاحة لجميع الطبقات الاجتماعيّة.

وأُحذّر في السياق نفسه هذه الفئة العمريّة من الانسلاخ عن هويّتها الشخصيّة، متقمّصة أنماطاً أخرى من السلوك، ومن الانقطاع عن واقعها الحقيقيّ، مسحورة بالمجال الافتراضيّ الذي يمكن أن يسلبها حضورها في بيئاتها، بمقدار ما يمكن أن يكون منبراً رقميّاً للتعبير عن مشاكلها وهمومها وقضاياها.

بريشة: فاطمة الزهراء عمار

كُن مدبِّراً ولا تكنْ مسرفاً..

فاطمة نعمة الله شعيتو
كاتبة وباحثة تربويّة ـ لبنان

لا شكّ أنَّ الحياة في المجتمع المدنيّ الحديث صارت أكثر تعقيداً وتداخلاً من الناحيتين الاقتصاديّة والاجتماعيّة؛ وذلك بالنظر إلى التطوّر التنمويّ السريع الذي شهدته العقود الأخيرة من القرن الماضي وبداية هذا القرن.

لكنّ على الرغم من أهمّيّة هذا التطوّر الهائل وما قدّمه للمجتمعات البشريّة، إلا أنّه أفرز بعض الآثار السلبيّة التي مسّت حياة الأفراد وخاصّة الشباب، ومنها: الاستهلاك المتزايد، بروز مظاهر استهلاكيّة غير رشيدة، حمّى الشراء، هوس التسوّق، إدمان الاستهلاك، الاستدانة والقروض المتوالية... وغيرها من الأمور التي بتنا نشهدها تسيطر على مجتمعنا، وتأسر شبابنا.

ولا شك أنَّ الأسرة لها دور أساس في الحدّ من هذه المشاكل، انطلاقاً من التخطيط الناجح لإدارة حياتها وحياة أفرادها، وانتهاءً بالأساليب الواعية التي تعتمد عليها في ترشيد نفقاتها ومصاريفها.

فما هو السبيل إلى تدبير المعيشة؟ وكيف يمكن وضع ميزانيّة اقتصاديّة ناجحة للأسرة؟

حسن التدبير حفظٌ للنعم:

إنّ ترشيد الاستهلاك يعني الاستخدام الأمثل للموارد[1]، وسدّ الحاجات المعيشيَّة، والتّوازن والاعتدال في الإنفاق[2]. وهو مصداق قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا**﴾[3].

ولا شكّ أنَّ ترشيد الاستهلاك الأسريّ يتضمّن الحديث عن مجموعة من الأمور، التي تبدأ من الحاجات الأساسيَّة لأفراد الأسرة، وهي: الغذاء، والملبس والمسكن.

فكيف يمكن تحقيق التوازن والاعتدال في الاستفادة من هذه الحاجات؟

ورد في الحديث الشريف: «**المال مال الله، جعله ودائع عند خلقه، وأمرهم أن يأكلوا منه قصداً، ويشربوا منه قصداً، ويلبسوا منه قصداً،.. ويركبوا منه قصداً..**»[4].

1- الموارد تكون: إمَّا موارد بشريّة: الميول، الاتجاهات، الطاقات، المهارات، القدرات. وإمَّا موارد غير بشريّة: الوقت، المال، الممتلكات، تسهيلات المجتمع.

2- يراجع: القيسي، كامل: ترشيد الاستهلاك في الإسلام، ط1، 2008م، دائرة الشؤون الإسلاميَّة والعمل الخيريّ، دبي، ص: 7.

3- سورة الفرقان، الآية: 67.

4- النوريّ، حسين: مستدرك الوسائل، تحقيق: مؤسسة آل البيت b لإحياء التراث، ط2، 1408هـ، بيروت، ج13، ص: 52.

لذلك لا بدّ من اعتماد مجموعة من الأسس الخاصّة بترشيد الاستهلاك، وإدارة الاقتصاد الأسريّ، أهمّها:

1 - تعزيز الوعي لدى أفراد الأسرة حول موضوع الاستهلاك والإسراف، كلٌّ بحسب قدراته وطاقاته؛ **فالعامل على غير بصيرة كالسائر على غير الطريق لا يزيده سرعة السير إلا بُعداً**[1].

2 - تربية أفراد الأسرة على القيم الاقتصادية، ومنها حسن الادخار، وحسن الاستثمار، والقناعة والرضى بما قسمه الله تعالى من الأرزاق.

3 - الإنفاق في سبيل الله؛ وهو من مقوّمات الشخصيَّة الإيمانيّة؛ لذلك حثَّ الإسلام على إعطاء كلّ ذي حقٍّ حقّه، وأكَّد على مبدأ الإنفاق الواجب والمستحب والمباح. قال تعالى: ﴿**لن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيم**﴾ [2].

وقد ورد في الحديث عن رسول الله ﷺ: «**لا خير في السرف، ولا سرف في الخير**»[3]؛ أي إنَّ الإسراف منهيٌّ عنه؛ لأنَّ فيه تضيّيع للمال، وهو من مصاديق الباطل.

أمَّا إذا كان إنفاق الإنسان في طاعة الله، وتقديم الخير والعون للآخرين، فإنّه لا يُعدُّ إسرافاً.

4 - الوسطيّة في الإنفاق: وهي من أهم مقوّمات الاقتصاد الأسريّ الناجح، والمقصود من الوسطيّة التوازن والاعتدال في الإنفاق، وعدم الجنوح نحو الإفراط أو التفريط، ولا الإسراف أو التقتير والبخل. كما في قوله تعالى: ﴿**وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُوماً مَحْسُوراً**﴾ [4].

5 - حُسن الادّخار؛ الادّخار يكون حميداً إذا كان الهدف منه حماية اقتصاد الأسرة والحفاظ على تماسكها، حتى أنّ نبيّاً من أنبياء الله تعالى قد تولّى هذه المهمّة بنفسه؛ وقصّة نبيّ الله يوسف في القرآن الكريم خير دليلٍ على أهمّيّة الادّخار.[5] أمّا إذا كانت أهداف الادّخار لا تنسجم مع حكم العقل والشرع، فسيكون حينها مذموماً ومنهيّاً عنه؛ لأنّه يعدّ تسخيراً للثروة في غير رضى الله، وقد يكون في هذا الادّخار حرمان للنفس، والأسرة، والمجتمع من المنافع والثروات التي سخّرها الله تعالى.

6 - إعداد ميزانيّة ماليّة خاصّة بالأسرة؛ وذلك من خلال وضع خطة ماليَّة لتحديد طريقة استعمال الدخل الماليّ في فترة زمنيَّة محدَّدة، قد تكون سنويَّة أو شهريَّة أو أسبوعيَّة أو حتّى يوميَّة، في ضوء الأهداف المنشودة. والهدف منها الموازنة بين دخل العائلة ونفقاتها[6]، الأمر الذي يقود حتمًا إلى توفير بعض المال إمّا لتسديد القروض، أو لزيادة حجم المدّخرات التي تظهر الحاجة إليها في وقت غير متوقّع أحياناً، أو لاستثمار هذه المدخرّات لاحقاً لزيادة مداخيل الأسرة.

وبما أنّ ميزانيّة الأسرة تشكلّ تحدّياً كبيراً أمام أفرادها، وتلافياً للوقوع في الأزمات الماليّة، فلا بدّ من اتخاذ خطوات عاجلة لإدارة المصاريف على أساس حجم الدّخل الشهريّ، وأهمّها:

الخطوة الأولى: تحديد الدّخل الماليّ للأسرة؛ وهو العائد النقديّ الذي يحصل عليه الزوج أو الزوجة أو الأبناء مقابل العمل، مضافاً إلى العائد الذي يحصل عليه صاحب رأس المال المستثمر في قطاع معيّن، وكذلك الأمر بالنسبة إلى الدخل الذي يحصل عليه الفرد بشكل عينيّ، مثل: الخدمات التعليميّة، أو الصحيّة المجانيّة.

1- الكلينيّ، محمد بن يعقوب: الكافي، تحقيق وتصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، ط3، دار الكتب الإسلاميّة، طهران، ج 1، ص: 44.

2- سورة آل عمران، الآية: 92.

3- الشاهرودي، علي النمازيّ: مستدرك سفينة البحار، تحقيق وتصحيح: النمازي، حسن بن علي، لا ط، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين، قم المشرفة، ص: 22.

4- سورة الإسراء، الآية: 29.

5- يراجع: سورة يوسف، الآيات 46-49.

6- يراجع: كوجك، كوثر: الإدارة المنزليَّة، ط2، دار النشر، عالم الكتب، القاهرة، 1977م، ص: 131-132.

- **الخطوة الثانية:** تدوين النفقات المتوقعّة بناءً لاحتياجات الأسرة، وتشمل:

* نفقات الطعام والشراب
* نفقات الملابس
* نفقات التعليم
* نفقات الطبابة والاستشفاء
* الأقساط والفواتير (كهرباء، ماء، هاتف، إنترنت، وما شابه)
* مصاريف التنقّل
* مصاريف التسليّة والترفيه
* الحقوق الماليّة الواجبة والمستحبّة
* المصاريف الطارئة (مثل: متطلّبات العلاقات الاجتماعيّة والدعوات وما شابه ذلك).

- **الخطوة الثالثة: تحديد الأولويّات في إنفاق الأموال:** إنَّ الدَّخل المحدود، والإمكانيّات القليلة، وغلاء الأسعار، أمورٌ تحول دون قدرة الإنسان على تلبيَّة جميع متطلّبات حياته؛ لذلك لا بدّ من العمل على تلبيَّة الضرورات أوّلاً، ثمَّ الاحتياجات، ثمّ الكماليّات.

ويُقصد **بالضرورات** النَّفقات التي تتوَّقف عليها الحياة، مثل: الطعام، والشراب والمسكن، والصحَّة، أمّا الاحتياجات، فهي: ما يرفع الحرج، ويدفع المشقَّة عن النَّاس، أمّا الكماليات، فهي ما يوفّر الحياة الطيّبة، ورغد العيش دون إسرافٍ أو معصيَة[1].

- **الخطوة الرابعة: مقارنة الدّخل المالي مع النَّفقات الأسريّة:** فإنّ التوازن بين الإنفاق والدخل الماليّ، مؤشرٌ على نجـــاح الخطّة الاقتصاديّة للأسرة. وفي هذه الحـــالة يمكن أن يُستثمر المال الفائض في الأمور المشروعة، ويدّخر لوقت الحاجة؛ أمّا في حال رجحان كفّة النفقات الأسريّة على مدخولها الماليّ؛ فإنّ ذلك مؤشرٌ إلى وجود خلل واضح في التَّخطيط لميزانيَّة الأسرة، وفي مثل هذه الحالة ينصح الخبراء الاقتصاديّون بإعادة النظر في تحديد الأولويّات، والسعي إلى زيادة الدخل الماليّ من خلال العمل الإضافيّ والاستثمار[2].

ختامًا، إنَّ الأسرة التي تُحسن التدبير في معيشتها، ينعم أفرادها بالحياة الطيّبة، والاستقرار على مختلف المستويات النفسيّة، والروحيّة، والبدنيّة، ويعيشون في مجتمعهم بعزّة وكرامة، بما أفاض الله عليهم من نعمٍ استطاعوا استثمارها والمحافظة عليها.

فكونوا مدبّرين
ولا تكونوا مسرفين...

1- يراجع: فتحي، محمد: إدارة البيوت، (لا ط)، مؤسسة إقرأ للتوزيع والنشر والترجمة، (لا م)، ص: 57.

2- يراجع: كوجك، الإدارة المنزليّة، (م.س)، ص: 131-132.

اخترنا

أن نكون منبراً للتعبير عن آرائكم وتوجهاتكم،

وميداناً لنشر إبداعاتكم ومساهماتكم العلميّة والفكريّة والأدبيّة والفنيّة...

Email: Among.shabab@gmail.com

Whatsapp: 09613835051

telegram: t.me/maashabab

website: maaalshabab.iicss.iq

facebook: @maaalshabab

twitter: @maaalshabab

instagram: maaalshabab

يسرّ مجلة «مع الشباب»

أن تفتح صفحاتها الورقيّة والإلكترونية لـ:

- استقبال مشاركاتكم الكتبيّة في أبوابها كافّة (ملف العدد، تكنولوجيا، تربية،...)
- نشر إنجازاتكم وإنتاجاتكم الفكرية والفنيّة (كتاب، فنّ تشكيليّ، أفلام قصيرة، كاريكاتور...)
- إبداء آرائكم حول مقالات المجلة وموضوعاتها؛ من خلال كتابة مقال نقديّ موضوعي يعكس رؤية كاتبه.
- نشر النشاطات الشبابيّة، التي ترغبون تغطيتها ونقلها عبر موقعها الإلكترونيّ

وأن تدعوكم للمشاركة في فقرة «قضايا الشباب»

فقرة متنوّعةٌ بموضوعاتها، تفتح لكم المجال لطرح:

- مشكلة تواجهكم (تربوية، اجتماعية، نفسيّة...)
- سؤال أو استفسار أو إشكال يحتاج إلى توضيح في مختلف الموضوعات (عقيدة وفكر، تربية، اجتماع،...)
- الموضوعات والقضايا التي تجدونها محلّ اهتمامكم
- تجاربكم... واحتياجاتكم
- مشاكلكم
- اقتراحاتكم وآرائكم

يرافقكم في هذه الفقرة فريق من المتخصّصين؛ للإجابة عن أسئلتكم، واقتراح الحلول المناسبة لمشكلاتكم...

رسالة مجلّتنا

كُن مبدعاً في تفكيرك

سارة مصطفى صفا
باحثة في الشؤون التربوية ـ لبنان

هل فكّرت يوماً بطرق مختلفة تحقّق لك النجاح؟

هل تساءلت مرةً كيف يمكنك أن تكون مبدعاً؟

هل أدركت معنى الابتكار واكتشفته بداخلك؟

وأخيراً، هل كنت تعلم أنّ التفكير الإبداعيّ يساعدك في التعامل مع التحدّيات والفرص المتاحة؟ وأنّ الإبداع والابتكار يساعدان على تحقيق النجاح في مختلف المجالات؟

ما هو الإبداع؟

هو عملية تحدٍّ وتغيير لأفكار وعادات قديمة تقليديّة، واستبدالها بأفكار وأساليب حديثة وجديدة.

هو رؤية المألوف بطريقة غير مألوفة.

هو تنظيم الأفكار وحلّ المشكلات بأساليب جديدة.

هو طاقة عقليّة، فطريّة، اجتماعيّة

عناصر الإبداع:

1 – العمل الإبداعيّ

2 – العمليّة الإبداعيّة

3 – الشخص المبدع

4 – الموقف الإبداعيّ

مراحل الإبداع:

للوصول إلى الإبداع ينبغي المرور بمراحل أربعة، هي:

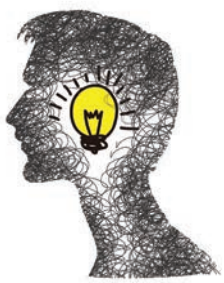

1 – الإعداد أو جمع المعلومات

2 – الكمون وحفظ المعلومات

3 – الإشراف والبدء بالإبداع

4 – التنفيذ

التفكير المنطقيّ:

يعتمد على الاستفادة من التجارب الشخصيّة الماضية لمواجهة مشكلة مألوفة، وإيجاد حلول ملائمة بأقلّ مجهود، من خلال تقويم المشكلة والانطلاق نحو الحلّ، ويُعرف أيضاً بـ «التفكير المترابط»، وهو الأكثر شيوعاً واستخداماً، لكنّه قد يكون عائقاً أحياناً، إذا لم تكن لدى الفرد تجارب كافية، أو إذا

كانت لديه حلول قليلة، أو إذا كانت المشكلة تتطلّب حلولاً مبتكرة جديدة لم يفكّر فيها أحد من قبل.

لدى كل فرد منّا طاقة كامنة، تجعله قادراً على الإبداع، لكنّنا دائماً نتردّد في تفجيرها، فنتحفّظ بسبب الثقافة التي نعيشها، أو الظروف المحيطة، التي تحتّم علينا البقاء على نمط التفكير التقليديّ.

فبدل أن ننظر إلى المشكلات على أنّها فرص لخلق الإبداع والتجديد في أساليب الحياة التي نعيشها، نميل إلى النظر إليها باعتبارها عقبات يجب تخطّيها.

لذا استخدم التفكير الإبداعيّ بدلاً من التفكير المنطقيّ وكنْ مبتكراً...

ـ انظر إلى الأشياء بطريقة مختلفة، **«فكّر خارج الصندوق»**.

ـ حاول إيجاد الحلول الجديدة دون الرجوع إلى الطرق التقليديّة؛ فإنّ قدرة الإنسان على البحث عن حلول مبتكرة للمشكلات تعدّ من الضروريّات لنجاح البشريّة وتطويرها، وتظهر ثمراتها في الأمور الآتية:

*ـ اجتماعيّاً: تساهم في تحسين قيمة الحياة.

*ـ عمليّاً: تعدّ أساسيّة لاستمرار كفاءة مؤسّسة ما.

*ـ شخصيّاً: تساعد على التخلّص من الروتين غير المستحب.

كيف تكون مبدعاً؟

يحتاج التفكير الإبداعيّ إلى ذهن منفتح، يمكّن صاحبه من البحث عن حلول جديدة لحلّ المشكلات ومعالجة الأمور.

ولكي تكون مبدعاً ومبتكراً عليك أن:

ـ تتذكر أنّ التغيير يبدأ بالتساؤل وطرح الأسئلة على الذات وعلى الآخرين.

ـ تفكّر بأسلوب جديد ابتكاريّ وإبداعيّ حتى تزيد من الفرص المتاحة لك.

ـ تستعرض كافّة الخيارات الممكنة قبل اتخاذ القرارات النهائيّة.

ـ تنظر إلى المعلومات والمعطيات بشكل إبداعيّ، وبأسلوب يمتاز بالبصيرة الثاقبة.

ـ تكون منفتح الذهن في نظرتك للمواقف.

ـ تكون مستعدّاً للتكيّف مع المواقف.

ـ تحاول الابتعاد عن التجارب والحلول السابقة.

ـ لا تفترض أنّ ما كان صائباً في الماضي سوف يظلّ كذلك في الحاضر.

ـ تثق بقدراتك على التفكير في الحلول.

ـ لا تكون مقيّداً بالقوانين والتعليمات.

ـ تتقبّل فكرة أنّ المشكلات هي منبع الإبداع.

أخيراً، لكل فرد منّا قدرات في الفكير المنطقيّ والإبداعيّ، لكن علينا أن نحدد أيّ نوعٍ منهما سنستخدم بحسب ما يتناسب مع نوع المشكلة.

فإذا كانت مشكلتك بسيطة، فليس ثمّة داعٍ للإبداع في التفكير؛ إذ إنّ محاولة الإبداع هنا قد تعيق إنتاجيّتك؛ لأنك تحتاج إلى طاقتك الكاملة في التفكير المنطقيّ.

لذلك، فإنّ من المهم إدراك المواقف التي يصبح فيها المنهج الإبداعيّ أكثر فائدة وجدوى بدلاً من استهلاك طاقاتك الإبداعيّة بلا داعٍ.

وسيم

فاطمة كريّم
طالبة في كليّة الإعلام والتوثيق ـ لبنان

حاول فتح عينيه، لم يستطع، حرّك شفتيه ليستغيث، لكنّ صوته غَرِقَ في جوفه، ولم تصدر عنه سوى أنّة ضعيفة نبّهت الجالسين حوله إلى أنّه قد استعاد وعيه.

يدٌ دافئةٌ مرتعشةٌ شدّت على يده، وتناهى إلى سمعِه صوتُ بكاءٍ خافت.

خفق قلبُه فزَعًا، جمُدَ وحاول تذكّر شيء ما؛ راحت الصور تتبعثر في رأسه، والأصوات تختلط. رأى أباه واقفًا أمام باب غرفته يلوّح له بمفتاحٍ ويضحك، سمع صوته وهو يقول: «أيّها الشاب المغرور، لو كنتُ أعلم أنّي سأحظى بهذا العناق وكلّ هذه القبلات، لكنت أهديتك سيّارة منذ زمن»! رأى وجه «وفاء» الباسم، ضحكاتها الجميلة، سمع صوتها الرقيق وهي تقول له: «أنا أسعد مخلوقٍ على وجه الأرض»... ثم سمع صراخها، ومعه سمع صوت إطارات سيّارته، رأى يديه تحاولان عبثاً التحكّم بالمِقْوَد، كان آخر ما رآه أشجار الصفصاف التي ملأت الوادي، وقد انقلبت رأسًا على عقب...

«وفاء» أول كلمة نطق بها، وهو يرقد على سرير المستشفى، مضمّد الرأس، مغمّض العينين. كان قلبه يخفق بسرعة، خشي أن يسمع ما يكره، لكنّه هدأ لمجرد سماع صوتها. «أنا هنا، بجانبك» دنت من أذنه وشدّت على يده.

«لا ترهق نفسك، ستكون بخير»

كان صوته ضعيفًا «ماذا حصل؟ هل أصابك مكروه»؟

قبّلت يده، وبحنوٍّ قالت: «الحمد لله أنّك لا تزال على قيد الحياة» ثم أجهشت بالبكاء.

"وفاء"!

أرادت أن تضبط نفسها لكنّها لم تستطع...

بصعوبة بالغة رفع يده اليمنى ووضعها على رأس وفاء.....

في قرارة نفسه كان يعرف ما أصابه، لم يحتج لسؤال أحد. صام لسانه عن الكلام، ولم يُسمَع صوته لساعاتٍ خمسٍ متتالية. كان والده يجلس منكسراً فوق رأسه، ينظر إلى وحيده كيف باغته القدر، وانتزع منه عينيه.

وبينما يراه على سريره تلفّه الضمادات من كل جانب، رأى الوالد نفسه واقفاً في المستشفى فوق رأس زوجته «وسيمة»، وهي تحتضن طفلاً بقماطٍ أبيض.... رنّ صوتها في أذنيه وهي تضحك وتقول: «كلّه لي، لا يشبهك في شيء! انظر ما أجمله، انظر إلى هاتين العينين الساحرتين، أليستا كعينيّ"! «وسيمة» كانت اسمًا على مسمًّى، كان يعشق النظر في وجهها المدوّر؛ عيناها اللتان أورثتهما لطفلها كانتا بلون ورق الزيتون، تلمعان بشكلٍ غريب.

«سأسميه وسيم، ما رأيك؟ أنا حقاً أغبطك يا زوجي العزيز، مَنْ مثلك وقد صار لديك وسيمة ووسيم"!

انهمرت الدموع من عينيه، وكأنّه بعد تلك السنوات الطويلة عرف حكمة رحيلها باكراً!!

لم يشأ الله أن تشهد هذا اليوم، لم يُرِد الله أن ترى «وسيمها» وقد انطفأ النور في عينيه!...

قسا القَدَر على «أبي وسيم»، فأخذ منه محبوبته على حين غَرّة. صار يرى «وسيمة» في عيني «وسيم»، واليوم وقد انطفأت تلك العينان، فقدَ كلّ أملٍ في الحياة. حاول أن يكون قويّاً متماسكاً، لكنّه كلّما اختلى بنفسه انهار...كانت الليلة الأولى بعد الحادث الذي نجت منه «وفاء» بأعجوبة، وفَقَدَ إثره «وسيم» بصره. طلب منها بإصرارٍ أن تذهب إلى البيت لترتاح، فانصاعت لرغبته مكرهة، لكنّها كانت تعلم أنّه بحاجةٍ لخلوةٍ مع نفسه. قبّلته في جبينه فوق الضمادات، قبّلت عينيه بتأنٍ شديد. «أنا أحبك»، خطَت باتجاه الباب ثم استدارت لتسأله كعادتها إن كان يُفضّل أن تطفئ النور، لكنّ قلبها اعتصر ودموعها سالت على وجنتيها، فغادرت بصمت. بكى «وسيم»، وكانت هذه المرة الأولى التي يبكي فيها منذ وفاة أمه...، لم يدرِ إن كانت عيناه تذرفان دمعًا أم لا! لكنه شعر بالنار تستعر فيهما. شعر بوحشةٍ قاتلة، واستبدَّ به الخوف. كان ضعيفًا كعصفورٍ صغير ولد منذ لحظات، ريشه لم ينبت بعد، عيناه مطبقتان، وقد هبّت ريحٌ باردةٌ جعلت جسده الهشَّ يرتعش. اشتاق لأمّه، تمنى لو يستطيع أن يغرق في حضنها، تمنّى لو أنّها لم ترحل عنه أبداً، تمنّى لو كان باستطاعته أن يغفو بأمانٍ بين يديها. ناداها بصمت، صرخ بصمت، بكى متفجّعاً بصمت. لم يلقَ منها جواباً...

لم يشعر بالضعف يومًا! شابٌ جميل الوجه، قوي البنية، أنيقُ المظهر، وهبه اللّه أبًا أغدق عليه من الحبِّ الكثير الكثير، وكأنّه أراد أن يحبّه مرّةً عنه ومرّةً عن أمّه!

فقده لأمّه وهو في سن العاشرة جعله يحظى برعاية بالغة من محيطه إضافة إلى أبيه، ارتاد أفضل المدارس ثم أفضل الجامعات، لم يقل له أحد «لا» قطّ! حتى «وفاء» التي كانت زميلته في الجامعة، حين تقدّم لخطبتها وافقت بسهولة. لم يقف في وجهه أيّ شيء، لا شيء! قال له أبوه ذات مساء: «جموحك صار يخيفني يا ولد». ردّ ضاحكاً: «تبالغ دائماً يا والدي». لكنّه لم يكن يبالغ، كان «وسيم» شاباً مغترّاً بنفسه؛ «هل تدري بأنّ كلّ من يراك

وأنت تمشي في أروقة الجامعة يظن بأنّك مديرها أو ابنه»؟ حدّثته «وفاء»، ضحك بصوت عالٍ «لا مشكلة، يحق ليّ الغرور، يليق بي، أليس كذلك»؟

«أنت تعلم أنّي شديدة الإعجاب بك، ولكن تعلم أيضاً أنّي لا أحبّ هذا التعالي يا حبيبي، تكاد تشعر أنّك جبلٌ لا يهزّه شيء»!!!

قاطعها: «أنا حقًا أشعر بذلك، ولست آسفاً يا عزيزتي».

استذكر كل ذلك، ضاقت به الدنيا... أُنهك وغفا، رأى نفسه يقف فوق قمة جبل شاهق يلاحق بنظره طيراً كبيراً جداً، وإذا بالطير يتّجه نحوه بسرعة، ويدفعه فيهوي إلى وادٍ سحيق. صرخ من أعماقه، ولم يهدأ صراخه إلا بعد حقنة مهدّىءٍ أُعطيت له في المستشفى.

مرت الأيام ثقيلة مُرةً على «وفاء»، اشتاقت نفسها للبهجة والفرح. كلّما نظرت إلى وسيم شعرت بالصخور تجثم فوق صدرها. لم يكن عمّها أفضل حالاً منها، فقد كبر سنواتٍ في غضون أيام. كان وجه وسيم لا يشبهه أبداً، حدقات عينيه بالكاد تتحرك، ينظر دائماً إلى الأرض منكّساً رأسه، شفاهه لم تعد تجيد التبسّم، وجهٌ شاحبٌ، وجسدٌ هزيلٌ، والكثير الكثير من الحزن واليأس الكفيلين بإحالة ربيع العمر إلى خريف موحش.

كُثُرٌ من المحبين والأقارب جاؤوا لزيارته، سمع مواساتهم، كلماتهم الموجعة له أحياناً: «الطب تطوّر، غداً تسافر للعلاج وتعود لنا كما كنت!»، «قد تجد متبرعاً، لا تفقد الأمل فأنت أمل خطيبتك وأبيك».

صار ينتظر الليل، ففيه هروبه من كلّ أولئك. يأنس بالظلمة الحالكة، ويسترخي حين تخفت كلّ الأصوات. رأى حقيقة نفسه، عجزه وضعفه! ضحك وحده في جوف الليل، ضحك وعلا صوت ضحكه! كيف يمكن للأعمى أن يبصر من الحقيقة ما لا يبصره مبصِرا! ثم بكى.

بكى بانكسار، كان وحيداً لا مؤنس له. شعر بجسده يرتجف، دموعه بلّلت وجهه وكفيه، قلبه كان يهرول في أزقةٍ موحشةٍ في جوف ليلٍ أصمّ، يهرب من زقاق إلى زقاق، يبحث عن نورٍ يعيد إليه الأمان، تاه وسقط على ركبتيه، خارت قواه، شيء ما جعله ينظر نحو السماء، خيطٌ من نور

لاح له وسط
كل ذلك الظلام. مدَّ يديه نحوه
مستنجداً متوسلاً، رأى «وسيمة»،
تمسك بيد طفلٍ جميل يشبهها، تعبر
به من بقعةٍ موحلةٍ إلى حديقةٍ غنّاء،
تقطف له الزهر وتحكي له: «كان
يا مكان، طفلٌ وسيمٌ يشبه ورد
الأقحوان...».

رأى الطفل يتعثّر، تحمله أمّه وتقول: «قل يا ربّ، هيّا قل...»

غفا، رأى نفسه واقفاً في وادٍ سحيق، ينظر إلى طيرٍ كبيرٍ جدّاً يقف فوق قمّةٍ شاهقة، وإذا بالطير يتّجه نحوه مسرعاً، يلتقطه برجليه ويحلّق، حلّق به عالياً حتى أوصله إلى قمّة الجبل. نظر إلى السماء، رأى كفين مرفوعتين بالدعاء، ومن خلفهما وجهٌ مدوَّر، عينان بلون ورق الزيتون تلمعان بشكل غريب..

أشعُرُ بالاغتِراب.. اغتِرابِ الرُّوح وغُربة الجَسَد.. تُذيبني الأمكنة في زوَايَاها الأربَع

وتَطحنُ أجزَاءَ عُمرِي في دوَّامةِ الزَّمَن، فكأنّ عُمُري هو دقائقُه وثوانِيه، والزّمن يَبتَلِعُها فِي أحدَاثِ أسطُورةٍ خيَاليَّة

لا يَفتَأ ينكَشفُ لِي السِّتارَ وراءَ السِّتار

وكأنّنِي عَلى سفرٍ . سفرٍ أزليّ

وعلَى حضنِ أُرجوحةٍ أزليَّة. . تَتَأرجحُ بي ما بينَ الزَّمانِ واللاَّ زمَان. . وتَقذِفني تارةً فِي نسيج الزَّمكان . . فتصغرُ منافِذُه وتَضيق

حتَّى يُوشِكُ على التمزُّق، فَيلفِظنِي لأقفزَ عاليًا . . في فضاءِ «اللَّا هَويَّة»

نُطفةٌ عائمة . .
لا شَرقيَّةٌ ولَا غربِيَّة

زينب آل سيف
كاتبة ـ السعودية

الحُزنُ بِرُوحِي يَتدَفَّق

إنّي فِي أَمواجِي أَغرَق

بِكَيَاني يَقطُنُ طِفلاَن

مِن غَرب الدُّنيَا والمَشرِق

كلٌّ بِثقَافتِهِ يَنجُو

وأنَا مِن أشتَاتِي أُشفِق

أيُّ البَرّينِ بِهِ أَرسُو؟

أَيُّ البَحرَينِ هُوَ الأَعمَق؟

أيُّ الأجسادِ بهَا دمِي؟

أيُّ الأوطَانِ هِي الأعرَق؟

أيُّ الطّفلَين بِهِ أَنمُو؟

أيُّ العُلُقاتِ تُرىَ أوثَق؟

وأنَا حينَ أُرجِّحُ كفًّا

هَل يَغدُرُ بِي أَو يَتمَلّق؟

سَأُصِيبُ وأَهفُو مرّاتٍ

مَن يعهدُ لِي ألاَّ أُخفِق؟

إقرأ لغتهم: تقرأ أفكارهم

آلاء شمس الدين ماجستير علوم لغة وتواصل - لبنان

تشير إحدى الدراسات إلى أنّ 65% من سكّان الوطن العربيّ يعيشون في العالم الافتراضيّ[1]، عالم مواقع التواصل الاجتماعيّ، ويقضي معظم الناشطين على هذه المواقع ما لا يقلّ عن ستّ ساعات يوميّاً؛ يكتبون ويتفاعلون ويشاركون المحتويات والمواضيع التي لا تنتهي في هذا العالم، **فكيف يتكلّم روّاد مواقع التواصل الاجتماعيّ، وماذا يتكلّمون؟**

1- هذه النسبة جاءت حسب تقرير موقع Internet World Stats لعام 2019.

تشكّل اللغة هويّة المتكلّم بها وهويّة المجتمع، فهي صوت الوعي والفكرة، ونحن أبناء الكلمات، نعيش في عالم من الكلمات المسموعة والمكتوبة، حتى الصورة التي نشاهدها تتكلّم. وفي العالم الرقميّ، أي العالم الذي خلقته مواقع التواصل الاجتماعيّ، تعدّ اللغة ركيزة التواصل والتفاعل مع الآخر، بالإضافة إلى الصور ومقاطع الفيديو التي تشكّل جزءاً من اللغة، كما أن للّغة صبغة إيحائيّة في التأثير على شعور الإنسان وفكره وإدراكه.

لكن هل تستطيع اللغة إعادة تشكيل وعي الأفراد على مواقع التواصل الاجتماعيّ من خلال استخدام تكنولوجيا التحليل اللغويّ؟

يمكن من خلال تحليل اللغة المكتوبة على مواقع التواصل الاجتماعيّ أن نكتشف نمط التفكير السائد فيها، وتوجّهات روّادها.

ساعد الإعلام الجديد في تطوير الدلالات اللغويّة واستخدامها؛ حيث يُلحظ ازدياد في استخدام الأسماء، فإنّ أكثر ما نشاهده عند تصفح موقع تويتر أو الفايسبوك أو الإنستاغرام هو الأسماء؛ أسماء أشخاص، أسماء أعمال ونشاطات، أسماء أفكار، أسماء علامات تجاريّة، وأسماء «الترند»، أو الموضوع الذي يتم تداوله على هذه المواقع، فيتمّ تصنيف كلّ موضوع باستخدام اسم ووسم. والاسم في اللّغة هو رمز للدلالة على الأشياء، أي التعبير عن النشاط الإنسانيّ بصيغ التملّك، وهذه الأسماء الكثيرة والمتزايدة تعكس توجّه الأفراد نحو السلوك الاستهلاكيّ والتملكيّ.

ولمواقع التواصل الاجتماعيّ تأثير كبير على جميع فئات المجتمع؛ حيث يستخدمها الكبير والصغير، المتعلّم والأميّ، وهذا الاستخدام المطّرد خلق أنماطاً جديدة من الاستعمال اللغويّ تختلف باختلاف ثقافة الفرد الافتراضيّ وخلفيّته. وقد تنوّعت لغات مواقع التواصل الاجتماعيّ، لكنّ الكتابة بالعربيّة العاميّة تعدّ الأكثر انتشاراً على صفحات التواصل الاجتماعيّ في مختلف الدول العربيّة. حيث يستخدم عدد كبير من روّاد هذه المواقع الكتابة باللهجة العاميّة في إطار عمليّة التواصل والتفاعل، وهذا من شأنه أن يزيد من شيوع الكتابة بالعاميّة، ما يعني تدنّي المستوى اللغويّ للأفراد، بينما تُستخدم العربية الفصحى بنسبة قليلة من قبل أشخاص متخصّصين. وثمّة نمط من الكتابة يتضمّن الفصحى والعامية معاً، ويستخدم هذا النمطَ جزءٌ كبير من المتخصّصين غير اللّغويّين، كما أنّه يغلب عليه التسكين وفيه بعض الأخطاء النحويّة.

إنّ استخدام تقنيّة التحليل اللغويّ وتحليل المحتوى تمكّن من معرفة المواضيع الأكثر تداولاً على مواقع التواصل الاجتماعيّ، وثمّة العديد من البرامج والمواقع الإلكترونيّة التي تحلّل اللغة، تعمل على هذه التقنيّة من خلال تجميع أكبر عدد ممكن من البيانات والحسابات التي استخدمت مصطلحاً أو اسماً يرتبط بموضوع متداول على مواقع التواصل الاجتماعيّ أو أيّ مواقع أخرى على الشبكة العنكبوتيّة. **ويعدّ موقع (Keyhole) من المواقع التي تساعد على تحليل محتوى مواقع التواصل الاجتماعيّ من خلال إدخال كلمات مفتاحيّة أو وسم (hashtag) الموضوع الذي نودّ معرفة نسبة التفاعل معه، كما نستطيع من خلال هذا الموقع معرفة توجّهات سكان العالم الافتراضيّ ومشاعرهم تجاه المواضيع المتداولة.**

وبعد إجراء التحليل تبين أنّ أكثر ما يتم

تداوله في العالم الافتراضيّ هو «الترند»، الأسماء والعناوين التي تطلق على المواضيع الجديدة وتتوالد بشكلٍ يوميّ، فلا يوجد مواضيع محدّدة يتحدث عنها روّاد مواقع التواصل الاجتماعيّ، فهم يتكلّمون عن كلّ شيء وعن أيّ شيء يُقدّم لهم، ومن الأمثلة على ذلك، أنّه في حادثة احتراق كنيسة نوتردام في فرنسا، تفاعل أكثر من 17 مليون عربيّ مع الحريق، مستخدمين وسم (نوتردام) على مواقع التواصل الاجتماعيّ، وقد تنوّعت مشاعر المتفاعلين بين الإيجابيّة والسلبيّة، وفي المقابل نلاحظ أنّ التفاعل مع وسم القدس عاصمة فلسطين (القدس_عاصمة_فلسطين) لم يتجاوز المليون متفاعل في العالم العربيّ، وكذلك الأمر بالنسبة لغيره من الموضوعات.

تختلف مكانة «الترند» وتتباين، فثمّة «ترند» عالميّ ينشأ من حَدَثٍ عالميّ، ويشارك فيه أفراد من مختلف أنحاء العالم، وثمّة «الترند» الوطنيّ الذي يتداوله أبناء الوطن الواحد، مضافاً إلى «الترند» المحليّ الذي يتداوله أفراد جماعة محلّيّة. ويساعد التفاعل على هذه «الترندات»، وتداول «وجبات المعلومات السريعة»، بغض النظر عن أهمّيّتها أو تفاهتها، على تعزيز الشعور بالانتماء عند الفرد الافتراضيّ، وخلق وهم الوعي وتخمة المعرفة.

يقع الأفراد على مواقع التواصل الاجتماعيّ تحت رحمة اللّغة، فهم يشاركون ويتفاعلون ويهدرون أوقاتهم في إنشاء مصطلحات وتداول أسماء وعناوين لمفاهيم وموضوعات مجهولة لديهم. وينشأ «الترند» إمّا من حدث أو قصّة محلّيّة أو وطنيّة أو عالميّة في الحياة الواقعيّة، ويتمّ تناقله بعد أن يُلصق به اسم ووسم على مواقع التواصل الاجتماعيّ، التي فتحت باباً واسعاً لكلّ فرد لإبداء رأيه بغضّ النظر عن مستوى فهمه أو معرفته بالموضوع المتداول. وإما ينشأ من قبل الذباب الإلكترونيّ[1] الذي يعمل على خلق «ترند» لإعادة توجيه الرأي العام أو خلق وعي زائف تجاه قضايا سياسيّة واجتماعيّة واقتصاديّة، ويتم ذلك عن طريق إنشاء وسم ونشره والتفاعل معه بشكل كبير من قِبَل الذباب الإلكترونيّ حتى يتصدر قائمة «الترند» على المنصّات الاجتماعيّة في الدول المستهدفة أو على مستوى العالم. وتلعب اللّغة دوراً مهمّاً في عمليّة التحفيز والاستجابة وتغيير السلوك الاجتماعيّ، فثمّة جيوش إلكترونيّة على منصّات التواصل الاجتماعيّ عملها الأساس إنشاء دلائل لغويّة، والتلاعب بالكلمات من أجل صياغة وعي جديد تجاه قضايا ومفاهيم مجهولة عند الأفراد على منصّات الإعلام الجديد.

لقد أفرزت الشبكات الاجتماعيّة أشكالاً جديدة من الفعل

1- هو مصطلح استُحدث لوصف الحسابات الآليّة أو المُبرمَجة على مواقع التواصل الاجتماعيّ التي تعمل على توجيه أو تغيير اتجاه الرأي العام.

الجماعيّ، فمن خلال هذا التفاعل اللّغويّ تتّسع الآراء وتنتقل المعلومات بسهولة، ويتشكّل من خلالها وعيٌ غير مكتمل، باعتبار أنّ هذه المنصّات تمنع من تعميق الأفكار وتكاملها، وتطرح رؤوس أقلام تتحوّل ضمن ثقافة الجمهور إلى مسلّمات قبل فحص كلّ جوانبها ومبانيها وزوايا النظر فيها. ويقف خلف هذه المنصّات مجموعات موجّهة لطرح خطاب محدّد للجماهير الافتراضيّة، وهذا يتطلّب دراية أكبر، وهو ما لا يمكن للفرد المثقف القيام به منفرداً، بل تحتاج هذه المنصّات إلى المؤسّسات المثقّفة لمتابعة آخر المعطيات والإشكاليّات التي تواجه الأفراد في مواقع التواصل الاجتماعيّ. فالتصدّي في عالم مفتوح ومباح يحتاج إلى عمل مؤسّساتيّ قائم على تحليل المعلومات المطروحة ورصدها، ليستطيع المثقّفون تقديم المعالجة وإعادة صياغة وعي متوازن يقلّل من سلبيّات منصّات التواصل الاجتماعيّ، ويدفع لرفع أرصدتها الإيجابيّة في حركة المعرفة والتغيير.

في الخلاصة، تدلّ اللغة على الواقع الاجتماعيّ، فالأفراد في العالم الافتراضيّ لا يعيشون في عالم موضوعيّ فقط، ولا في عالم النشاط الاجتماعيّ فقط؛ بل يعيشون تحت سلطة اللّغة الخاصّة بهم والتي أصبحت وسيطاً للتعبير عن آرائهم، ونحن ـ كما في الحياة الواقعيّة ـ لا نستطيع التكيّف على مواقع التواصل الاجتماعيّ دون استخدام اللغة. والعالم الافتراضيّ مبني على أساس التفاعل من خلال استخدام اللغة إلى حدّ كبير؛ لذا تقع على عاتقنا مسؤوليّة كبيرة في كتابة أو تداول وإعادة نشر كلّ ما يُطرح على المواقع الافتراضيّة، فمنصّات الإعلام الجديد ليست منصّات أكاديميّة إنّما هي منصّات اجتماعيّة مفتوحة يتكلّم فيها العالم والجاهل عن كلّ شيء، ولا تتحدّد هويتنا فيها إلا عبر الكلام، فأنا أتكلّم إذاً أنا موجود.

الجندر
Gender

زينب فهدا
باحثة في الدراسات الإسلامية ـ لبنان

اتّفقت معظم التعريفات على أنّ الجندر مفهوم يُعنى بالأدوار والاختلافات التي تحدّدها المجتمعات بين الرجل والمرأة[1]. ومن هذه التعريفات[2]:

تعريف الموسوعة البريطانيّة: «Gender Identity» شعور الإنسان بنفسه كذكر أو أنثى، فالهويّة الجندريّة ليست ثابتة بالولادة، بل تؤثّر فيها العوامل النفسيّة والاجتماعيّة، وهي تتغيّر وتتوسّع بتأثير العوامل الاجتماعيّة.

تعريف منظّمة الصحّة العالميّة: الجندر مصطلحٌ يُفيد استعماله وصفَ الخصائص التي يحملها الرجل والمرأة كصِفات مركّبة اجتماعيّة، لا علاقة لها بالاختلافات العُضويّة.

وقد ورد تعريف الجندر ـ بحسبَ بعض الشبكات الإلكترونيّة ـ بأنّه: النوع الاجتماعيّ الذي يتعلّق بالأدوار المحدَّدة اجتماعياً لكلٍّ من الذكر والأنثى، وهذه الأدوار تُكتسب بالتعليم وتتغيَّر مع مرور الزمن، وتختلف اختلافاً واسعاً في إطار الثقافة الواحدة.

1- يراجع: مفاهيم عالميّة التذكير والتأنيث الجندر، ترجمة أنطوان أبو زيد، المركز الثقافيّ العربيّ، ط1، بيروت، 2005م، ص: 14.

2- شكري، شيرين: النوع الاجتماعيّ: التنوّع الثقافيّ والخصوصيّة الثقافيّة، ط1، دار الفكر المعاصر، (لام)، ص: 13.

تطوّر مفهوم النوع الاجتماعيّ:

نشأ مصطلح النوع الاجتماعيّ وساد في مجال العلوم الاجتماعيّة ترجمةً لمصطلح الجندر الذي تعدّدت صيغ ترجمته منذ نشأته في النظريّة النسويّة الغربيّة، وما تبع ذلك من استخدامه في أدبيّات البرامج التنمويّة والترجمات إلى اللغة العربيّة.

أمّا في سياق الدراسات الثقافيّة، فقد تُرجم المصطلح بداية بترجمة أكثر توضيحاً لمضمونها وهي؛ «صيغة التشكيل الثقافيّ والاجتماعيّ للجنس»[3].

وقد سعى بعضهم لطرح صيغة عربيّة للمصطلح مشتقّة من جذور اللغة العربيّة، وهي: «الجنوسة» على وزن الأنوثة والذكورة. لكنه لم يلقَ قبولاً، بينما أخذت الجندرة في الانتشار باللغة العربيّة، وأصبحت السائدة في كثير من مناطق العالم العربيّ[4].

واستُخدم مصطلح الجندر أي «النوع الاجتماعيّ» للمرة الأولى من قبل «آن أوكلى» في سبعينيّات القرن الماضي،

3- مجلة ألف: الجنوسة والمعرفة بين التأنيث والتذكير، الجامعة الأمريكيّة، القاهرة، 1999م، ص: 6-7.

4- يراجع: العزيزيّ ، خديجة: الأسس الفلسفيّة للفكر النسويّ الغربيّ، ط1، مكتبة بيسان، بيروت، 2005م، ص: 26.

وذلك لوصف خصائص الرجال والنساء المحدّدة اجتماعيّاً في مقابل تلك الخصائص المحدّدة بيولوجيّاً. لكنّ بعض الباحثين يرجّحون القول بأنّ انتشار المصطلح في الأدبيّات العالميّة واستخدامه ساد في فترة الثمانينيّات من القرن الماضي، وهي الفترة التي اتّسمت بمناقشات التفرقة بين الذكر والأنثى على أساس الدور الاجتماعيّ لكلّ منهما تأثّراً بالقيم السائدة.

وقد تبنّت الحركات النسويّة في النصف الثاني من القرن العشرين هذا المفهوم، وعملت على التفريق بينه وبين مفهوم الجنس؛ الذي يُعنى بالأسس البيولوجيّة للفروق الجنسيّة التي خُلقت مع الأفراد. كما أنّ الأبحاث والدراسات دعت إلى الفصل بين الجنس البيولوجيّ والجنس الاجتماعيّ الذي يقابله بالإنجليزيّة gender وبالفرنسيّة genre، وهو مفهوم يشير إلى الخاصيّة الثقافيّة والاجتماعيّة التي تتميز بها الفروق القائمة على الجنس. ومن هنا ظهرت مقولة الجنوسة[1].

وفي الوقت نفسه كثرت الشعارات والمفاهيم المنادية بتحرير المرأة؛ باعتبار أنّ لديها القدرة على القيام بكلّ أدوار الرجل، كما أنّ لدى الرجل القدرة على القيام بأدوار المرأة، وبالتالي فإنّ لكل منهما الحق في أن يغيّر هويته الجنسيّة وأدواره المترتبة عليها.

1- نظام الجنوسة هو بناء اجتماعيّ لا أساس له بالفروق الطبيعيّة بين الجنسين. هدفه العام إلغاء دور الجنس.

الفرق بين مفهومي الجندر والجنس:

الجندر كلمة إنجليزيّة؛ من أصل لاتينيّ، تعني في الإطار اللغويّ الجنس. وبحسب تعريف عِلم الاجتماع للجندر نجد أنّه يشير إلى كلمة الجنس التي تشير بدورها إلى التقسيم البيولوجيّ بين الذكر والأنثى[2]، بينما يشير النوع Gender إلى التقسيمات الموازية وغير المتكافئة اجتماعيّاً إلى الذكورة والأنوثة.

وبينما يقتصر مصطلح الجنس على الاختلافات البيولوجيّة بين الرجل والمرأة التي تتّسم بالثبات والأبديّة، فإنّ الجندر يعتبر من المفاهيم التي ترتكز على العلاقات والأدوار الاجتماعيّة والقيم التي يحدّدها المجتمع لكلّ من الجنسين، والتي تتغير وفقاً لتغيّر المكان والزمان، وتغيّر الثقافات، العرق، الطبقة الاجتماعيّة، الظروف الاقتصاديّة والعمر؛ لذا فإنّ طرح مفهوم الجندر كبديل لمفهوم الجنس يهدف إلى التأكّيد على أن جميع ما يفعله الرجـال والنسـاء يمكن أن يتغيّر بمرور الزمن وتبعاً للعوامل الاجتماعيّة والثقافيّة المتنوّعة [3].

فلسفة الجندر:

يرتكز هذا الطرح إلى فكرة مفادها أنّ التقسيمات والأدوار المنوطة بالرجل والمرأة، وكذلك الفروق بينهما، والأفكار

2- يراجع: مجلّة الحياة الطيّبة، العدد18، السنة الخامسة، صيف/ خريف 2005م، الحركة النسويّة أسسها وتيّاراتها ومنطلقاتها، بقلم: سوزان جيمس، ص: 22.

3 - يراجع: مفاهيم عالميّة: التذكير والتأنيث الجندر، ترجمة أنطوان أبو زيد، ط1، الدار البيضاء، المغرب، 2005م، ص: 77.

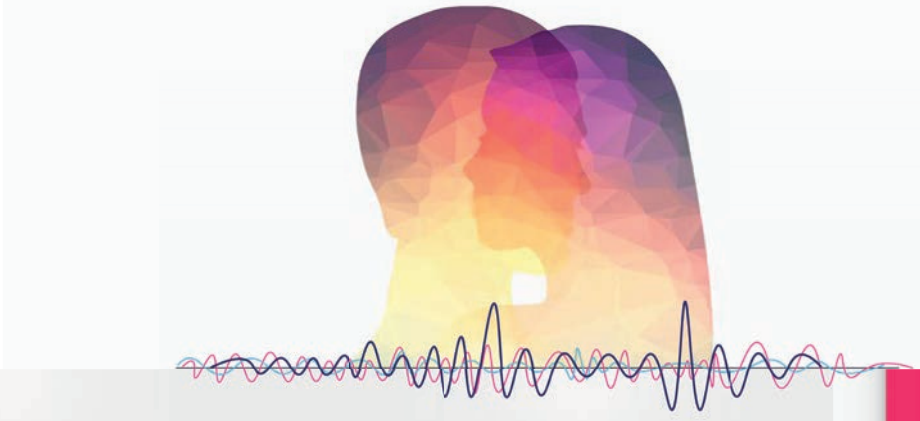

المتعلّقة بنظرة كلّ واحدٍ منهما للآخر ولنفسه، كلّها من صنع المجتمع، وبالتالي يمكن تغييرها وإلغاؤها، بحيث يستطيع كلّ واحد منهما أن يقوم بدور الآخر.

وبعبارة أخرى، إنّ فلسفة الجندر تتنكّر لتأثير الفروق البيولوجيّة الفطريّة في تحديد أدوار الرجال والنساء وسلوكهما، وهذا يجعل من حقّ الذكر أن يتصرّف كأنثى، ومن حق الأنثى أن تتصرّف كذكر. من هنا نجد أنّ بعض المؤتمرات النسويّة قد طالبت بتعدّد صور الأسرة، بحيث يمكن أن تتشكّل الأسرة في نظرهم من رجلين أو من امرأتين، ويمكن أن تتألّف من رجل وأولاد بالتبنّي، أو من امرأة وأولاد بالتبنّي. وأشارت هذه المؤتمرات إلى أنّ الشذوذ الجنسيّ يعتبر علاقة طبيعيّة، وطالبت بإدانة كلّ دولة تحظّر ذلك.

ومن هنا يمكن القول إنّ دعاة الجندر سعوا إلى إزالة الفروق البيولوجيّة بين الرجل والمرأة مِن خلال برامجَ تنمويّةٍ تعمل على تغيير قِيميّ وبنيويّ داخلَ المجتمع لإزالةِ هذه الفروق.

لذلك فإنّ خطورة تعريفات «الجندر» تكمن في كونها تتنافَى والفطرةَ التي خلق الله الإنسان عليها رجلاً وامرأة، وتعتبر الأنوثة والذكورة بالمعنى العضويّ منفصلة عن البنيّة النفسيّة والأدوار المكتسبة عند الأفراد، فالتربية والمجتمع هما العاملان الحاسمان في تكوين النفسيّة الأنثويّة أو الذكوريّة بغضّ النظر عن الطبيعة البيولوجيّة.

أخيراً، إنّ الغاية التي يتوخّاها الإسلام هي الحفاظ على النسل البشريّ من خلال خلق جنسين مختلفين هما: الرجل والمرأة؛ ولذلك أكّدت الآيات القرآنيّة المباركة على أنّ الله -سبحانه- فرض أدواراً واستعدادات مختلفة ومتنوّعة للرجل والمرأة، تتيح لكلّ منهما ممارسة واجباته. فالأدوار المنوطة بالرجل والمرأة في الشريعة الإسلاميّة تهيِّئ لاستعدادات ومواهب خاصّة، بحيث يمكن تحقيق حالة من التوازن في معالجاتنا لقضايا المرأة وأوضاعها، وذلك عن طريق ضبط عناصرها الثلاثيّة: القيم (الأدوار)، المواصفات (الاستعدادات)، والأحكام (الشريعة)[1].

1- يراجع: مجلة الحياة الطيّبة : العدد18، السنة الخامسة ، صيف خريف، 2005م، إضاءات فكريّة حول الحركة النسويّة من وجهة إسلاميّة، بقلم: محمد رضا زيبائيّ، ص: 35.

قضايا الشباب

قضية ورأي..
تردُّدي يُعيقُ اختياري...

محمد باقر كجك
كاتب وباحث في الفكر التربوي - لبنان

أنا شاب في السابعة والعشرين من عمري، لدّي العديد من الهواجس التي تجعلني أتردّد في الإقبال على الخطوبة والزواج. فما هي التساؤلات الاستراتيجيّة التي يمكن أن أتوجّه بها للفتاة عند التعرّف إليها؟

وهل من الضروريّ أن تكون أفكارها متوافقة تماماً مع أفكاري؟ وإن لم تكن كذلك، فهل يمكن تغيير أفكارها بعد الزواج، وأن أجعلها تحبّ ما أحبّ؛ من خلال التعامل الجيّد والخُلق الحسن؟

الجواب:

ثمّة بعض الاعتبارات والمقاصد الكلّيّة التي يقوم على أساسها توجّه الإنسان نحو الزواج، وهي:

أولاً: الزواج هو الفرصة الأمثل لبناء الذات وتهذيبها، وإيصالها بالحبّ نحو الله تعالى، من هنا ينبغي للشابّ أن يعزّز هذا الاتجاه الشريف في علاقته الزوجيّة، ويعرض هذا الهدف والمفهوم على الزوجة التي يريد اختيارها، ويختبر رأيها في ذلك، ويؤسّس كل مفهوم الزوجيّة على هذا المعطى؛ فعليه تبنى العاطفة وتتّخذ العلاقة الزوجيّة موقعها، ومن خلاله تتحدّد العلاقات الاجتماعيّة بعد الزواج.

ثانياً: الزواج مؤسّسة «بالتراضي»، فإن كان الدين لا إكراه فيه، فالزواج كذلك، فهو نصف الدين، وبالتالي لا إكراه في الزواج على شيء. من هنا يمكن القول: إنّ الدوافع والملكات والقابليّات والقدرات الموجودة عند الزوج أو الزوجة لا بدّ أن تتطوّر وتتكامل، بحسب الظروف والإمكانات، فلا يصح القمع والإكراه والترهيب بشيء، لأنّ ذلك سيعني وضعاً لظلامٍ على بقعة من نورٍ وموهبة وإمكانيّة ما.. **فتخيَّل كم يمكن لك أن تطفئ بقاعاً من النور في روح شريكك طوال سنوات الزواج؟**

من هنا، لا بدّ للمقبل على الزواج، أن يضع يده على أهم الملكات والقابليّات والقدرات الموجودة عند الطرف الآخر، ويتحاوران بوعي وجدّية حولها، وحول كيفيّة تطويرها وتكاملها، دون أن يؤدّي ذلك إلى حصول أذىً للطرف الأول، أو خطأ في جنب الله تعالى.

ويجب عليهما الاقتناع بأنّ الواجبات والحقوق الزوجيّة، تكفل لهما كلّ الحرية والإمكانيّة لإكمال درب التكامل في سبيل الله؛ بالعلم، والعبادة، والعمل...

ثالثاً: الاختلاف أمر إلهيّ، وكلّ أمره سبحانه جميلٌ؛ ﴿**وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا**﴾[1] لذلك عليك أن تتأكّد أنك ستجد في زوجتك ما تحبّ، وما تكره.. وهي ستجد فيك ذلك!! يبقى أن تؤسسا قبل الزواج لمنطق الاعتراف بحقّ الاختلاف، وأنّه أمر جميلٌ، وأنّه حقٌّ، وأنّه أمرٌ فطريّ، لكن إضافة لذلك، لا بدّ أن من التأكيد على أنّه في حال الاختلاف لا حلّ إلا بالحوار، والصبر، والاعتماد على المعرفة في تنقيح التجارب التي ستمرّان بها.

1- سورة الحجرات، الآية: 13).

وقد لفتني في كلام الشابّ، تعبيره بـ «جعلها تحبّ ما أحبّ»!!!! في الواقع، إنّ كلّ المصائب تأتي من هذا الاعتقاد عند الشباب؛ والصحيح، هو جعل أنفسنا تحبّ ما يحبه الله!!!.

إنّ الرغبات الشخصيّة، في بعض السلوكيّات، والشهوات، والتصرّفات أمرٌ لا يمكن الهروب منه، لكنّ الإصرار عليه منبعٌ للمشاكل، وتقريب المذاقات المتنافرة يمر عادة بمرحلتين:

الأولى: الشرح الهادئ وتقريب ذلك معرفيّاً، فتقول لها مثلاً: «أنا لا أحبّ الاختلاط غير الضروريّ بين الشاب والفتيات، وأرى أن هذا قد يأتي بأضرار كبيرة على زواجنا»، تقول ذلك ببسمة ومحبة.

والثانية: الصبر وتحمّل الأخطاء أثناء تعديل السلوكيّات المتنافرة، وإيّاك والتهديد بسوط الدين والجنة والنار دائماً، خصوصاً حال الغضب، فإنّ ذلك لا ينفع، بل إنّ أضراره على التديّن عند الزوجة لا تخفى.

إيّاك أن...

نقد الأساليب المضرَّة في التربية وفق معايير التربية الإسلاميَّة

مصطفى مكّي
كاتب ـ لبنان

بطاقة الكتاب:

ـ اسم الكتاب:

إيَّاك أن ... نقد الأساليب المضرَّة في التربية وفق معايير التربية الإسلاميَّة

ـ اسم المؤلِّف:

محمَّد رضا قائمي مقدّم

ـ بيانات النشر:

إصدار مركز الأبحاث والدراسات التربويَّة، ط1، بيروت، دار البلاغة،

1440هـ.ق/ 2019م.

جاء الكتاب في 280 صفحة من القطع الصغير.

يتميَّز عن غيره من الكتب التربويَّة بأنَّه يتناول الأساليب المضرَّة في التربية، ويسلِّط الضوء على آثارها السلبيَّة انطلاقاً من الرؤية الإسلاميَّة.

هدف الباحث من خلال هذا الكتاب إلى تحقيق أمرين أساسيَّين:

الأمر الأوَّل: عمليّ تطبيقيّ، يتلخَّص في تعريف الأهل والمربِّين على الأساليب المؤذية والمضرَّة في عمليَّة التربية من وجهة نظر الدين، وبالتالي مساعدتهم على تجنُّبها، وعلى حسن إجراء التربية والتعليم.

الأمر الثاني: نظريّ، يتمثَّل في تدوين نظام شامل للتعليم والتربية الإسلاميَّة؛ فقد استطاع الباحث أن يخطو خطوة في هذا المجال، من خلال تحليل سلبيَّات بعض الأساليب التي أشار إليها الدين، وأشار إلى كثير من الأساليب في إطار النظام التربويّ الإسلاميّ.

وفي سبيل تحقيق هذين الأمرين قسَّم الباحث كتابه إلى تسعة فصول؛ عرض في السبعة الأولى منها؛ سبعة من الأساليب المضرَّة، مشيراً إلى آثار كلٍّ منها، ودرس في الفصل الثامن العلاقة بين هذه الأساليب ونظرة الإنسان إلى نفسه، وأشار في الفصل التاسع إلى عدد من العوامل والدوافع التي تؤثِّر في لجوء الأهل والمربِّين إلى هذه الأساليب.

نحاول ـ بشكلٍ موجز ـ الإطلالة على مضامين فصول الكتاب:

الفصل الأوَّل: عالج فيه الباحث الأسلوب الأوَّل، الذي يضرّ ويؤذي الولد أو المتربِّي منذ ولادته، **وهو أسلوب التسمية غير المناسبة أو التنابز بالألقاب،** فأثبت في هذا الفصل نهي الشريعة الإسلاميّة عن هذا الأسلوب مستنداً إلى الروايات المتعدِّدة التي تعتبر التسمية باسمٍ حسنٍ هو الحقُّ الأوَّل للطفل، وكذلك الروايات العديدة الناهية عن التسمية بأسماء منبوذة؛ ومثالها: التسمية بأسماء الشياطين، أو الحيوانات أو الأصنام أو حتَّى الناس المبغوضين في مجتمعهم. واستند أيضاً إلى سيرة الرسول الأكرم ﷺ في تغيير الأسماء القبيحة لأصحابها واستبدالها بأسماء ممدوحة. وفي بيان نهي الشريعة عن التنابز بالألقاب استند إلى الآية القرآنيّة: ﴿وَلاَ تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ﴾[1]، وإلى الروايات الناهية عن إطلاق الألقاب البشعة على الآخرين، مضافاً إلى حرمة إهانة المسلمين وتحقيرهم.

ثم ذكر الآثار السيِّئة لهذا الأسلوب، وهي: تعرُّض صاحب الاسم القبيح للسخرية والأذى من قِبل الآخرين، ما يؤدِّي إلى شعوره بالدونيَّة والحقارة، وإلى إضعاف علاقته بالآخرين، وظهور مشاعر الحقد والعدواة لديه والتي قد تدفعه إلى المواجهة والانتقام.

الفصل الثاني: أكَّد فيه على سلبيَّة اتِّباع **أسلوب التمييز وعدم مراعاة العدالة في سلوك المربّين تجاه المتربِّين.** وبيَّن نهي التعاليم الدينيّة عن هذا الأسلوب، مستعيناً بأصل إقامة العدالة في الإسلام، وبالروايات التي تؤكِّد على أنَّ المساواة بين الأبناء هو حقٌّ لهم، وأنَّ عدم المساواة هو ظلم وجور.

كما أكَّد على أنَّ الأضرار الناجمة عن هذا الأسلوب لا تقع على المتربّي المكرَّم فحسب، بل على المتربِّين الآخرين ـ أيضاً ـ وعلى المربِّين أنفسهم.

الفصل الثالث: درس فيه الباحث أسلوب **الإكراه والإجبار والفرض،** فبيَّن عدم انسجام هذا الأسلوب مع الأسلوب الإلهيّ الذي ترك للإنسان حرّيّة الاختيار حتَّى في اعتناقه للدين نفسه، وفي ما عرضه من سيرة الرسول ﷺ وخطب الإمام عليّ ﷺ كفاية في بيان رفض الإسلام لهذا الأسلوب.

وأهمّ خسائر هذا الأسلوب أنَّه يؤدِّي إلى نقض الغرض من التربية وإلى عدم حصولها، فضلاً عمَّا ينتجه في المتربِّي من ضعف الثقة بالنفس، والطاعة العمياء أو النفاق، وحبّ الانتقام.

1- سورة الحجرات، الآية:11.

الفصل الرابع: استدلّ الباحث في هذا الفصل على رفض الشارع **لأسلوب التحقير والإهانة في عمليَّة التربية**، انطلاقاً من تشريف الله سبحانه وتعالى للإنسان واستخلافه على الأرض، إضافةً إلى العديد من الروايات التي تأمر المسلمين باحترام بعضهم بعضاً وتنهاهم عن التحقير والإهانة.

وبعد أن ذكر مظاهر التحقير والإهانة، بيَّن الآثار المذمومة لهذا الأسلوب التي لا تنحصر في ضعف ثقة المتربِّي بنفسه، وشعوره بالذنب والخجل، والاكتئاب والانزواء عن المجتمع، والعدائيَّة والحقد، والميل نحو الشرِّ والدناءة، والنفاق.

الفصل الخامس: من الأساليب الخاطئة في عمليَّة التربية **أسلوب الجدال والمراء**. وإذا كان الجدال بالتي هي أحسن ممَّا أمر به الإسلام وأكَّد عليه، فإنَّ الجدال غير الحسن والمراء مورد نهي الشريعة ومنعها؛ نظراً لآثاره السلبيّة على الفرد والمجتمع معاً؛ فإذا كان بذل ماء الوجه وخسارة المروءة وإخفاء الحسنات وإظهار السيِّئات وتكدُّر القلب ومرضه من الآثار الواقعة على الفرد جرَّاء هذا الأسلوب، فإنَّ إيجاد العداوة والبغضاء والنفاق والازدواجيَّة يعد من الآثار الاجتماعيَّة. هذا فضلاً عن خطورة تماهي المتربِّي نفسه مع هذا الأسلوب واعتماده مع غيره.

الفصل السادس: تعرَّض في هذا الفصل **للازدواجيَّة والتناقض بين القول والعمل**، أو عدم التطابق بين قول المربِّي وفعله. واستعان في بيان سوء هذا الأسلوب بالآيات والروايات التي حثَّت على الانسجام وضرورة التطابق بين القول والعمل، وبالآيات الكثيرة التي ذمَّت التناقض بين القول والفعل، وبالآيات المرتبطة بالنفاق والمنافقين، أو بنقض العهد وعـــدم الوفاء بالوعد، أو تلك المتعلِّقة بالكذب والكاذبين أو بالفسق والفاسقين.

أمَّا آثار هذا السلوك، فذكر منها: إيجاد الكره والضغينة لدى المتربِّي، وإيجاد التردُّد وعدم الثقة بالنفس، وتعليم الرياء والنفاق، وإراقة ماء وجه المتربِّي وفقدان كرامته، ولجوء المربِّي إلى الكذب في التربية، ووقوعه في المعصية أكثر.

الفصل السابع: الأسلوب الأخير الذي تناوله الباحث في هذا الفصل هو **أسلوب العقاب**، فبيَّن أنَّه من الأساليب التربويَّة التي يمكن اللجوء إليها في ظروف خاصَّة، ويمكن اعتباره من الأساليب الإصلاحيَّة التي لها آثار إيجابيَّة مهمَّة في عمليَّة التربية؛ لكنَّ هذا يتوقَّف على معرفة مراحل العقاب للتدرُّج فيها، وعلى مراعاة الشروط والأصول والقواعد العامَّة للعقاب، وإلاَّ تحوَّل العقاب إلى أسلوب مدمِّرٍ بدلاً من كونه أسلوباً إصلاحيّاً، وقد ينتج آثاراً سلبيَّة ومضرَّة بدلاً من تلك الإيجابيَّة.

الفصل الثامن: خصَّصه الباحث لدراسة العلاقة بين الأساليب المضرَّة في التربية وبين نظرة الإنسان إلى نفسه؛ حيث عرَّف أوَّلاً النظرة إلى الذات، وأثبت حاجة الإنسان إلى عزَّة النفس من وجهة نظر الإسلام وعلم النفس، ثمَّ بيَّن أنَّ لنظرة الإنسان إلى نفسه إيجابيَّة كانت أو سلبيَّة تأثيراً على سلوك الفرد. ومن المؤكَّد أنَّ الأساليب المضرَّة والخاطئة في التربية كافية في تشكُّل النظرة السلبيَّة إلى الذات، والتي تبرز على شكل صفات روحيَّة ونفسيَّة وسلوكات ظاهريَّة وخارجيَّة تؤثِّر بدورها على نشاطاته كافَّة.

الفصل التاسع: ختم الباحث فصول الكتاب بدراسة أسباب اللجوء إلى هذه الأساليب المضرَّة في التربية، فأرجعها إلى ستَّة عوامل، هي: العامل المعرفيّ، والعامل العاطفيّ والانفعاليّ والحالات النفسيَّة، والعامل التربويّ، والعامل الثقافيّ، وتوقُّع الوصول السريع إلى النتيجة، والفروقات الفرديَّة بين الأبناء والمربِّين.

وبعد أن أنهى المؤلِّف فصول الكتاب التسعة، قدَّم نتائج وخلاصات هذه الفصول على شكل توصيات واقتراحات عمليَّة في مجال التربية.

تقويم الكتاب:

لقد أجاد الباحث وأفاد كثيراً في كتابه هذا؛ إذ إنَّه كان موفَّقاً في اختياره للموضوع وفي طريقة المعالجة أيضاً، ولا سيَّما من جهة حرصه على الانطلاق في كلِّ المباحث من القواعد العامَّة والأساسيَّة للدين الإسلاميّ، وحسن الاستفادة والتوجيه لكلمات النبيّ الأكرم ﷺ والأئمَّة المعصومين عليهم السلام، ومواقفهم العمليَّة بما يخدم بحثه. وللكتاب نقاط قوَّة كثيرة لا يتسع المقام لذكرها جميعاً، لكن ثمَّة بعض المآخذ والملاحظات، منها:

1. العنوان الرئيس للكتاب (إيَّاك أن...) هو عنوان تجاريّ ترويجيّ، وكان من الأفضل الاقتصار على العنوان الفرعيّ (نقد الأساليب المضرَّة في التربية وفق معايير التربية الإسلاميَّة) باعتباره عنواناً علميّاً يكشف عن حقيقة الكتاب، خصوصاً أنَّه عبارة عن رسالة في الدرسات العليا.

2. النقص الكبير في الأساليب المضرَّة التي ذكرها الكاتب؛ إذ إنَّ ثمّة أساليب كثيرة لم يذكرها، ولعلَّها أكثر خطورة وضرراً من تلك التي ذكرها. فالتدليل والحماية الزائدة وتلبية جميع رغبات المتربِّي والإفراط في التساهل والتسامح وغيرها، كلُّها أساليب تضر عمليَّة التربية وتفسد بناء شخصيَّة المتربِّي بشكل كبير.

3. ذكر المصنّف أسلوب (التنابز بالألقاب) بوصفه أسلوباً مضرًّا في عمليَّة التربية، لكن الأهل والمربِّين لا يعتمدون هذا الأسلوب عادة، بل ذلك يصدر عن المجتمع ومن خارج إطار المسؤولين عن عمليَّة التربية. نعم، تكمن مسؤوليَّة الأهل والمربِّين في المسارعة إلى تكنية الأولاد والمتربِّين بالكنى والألقاب الممدوحة لقطع الطريق على الآخرين ومنعهم من تناوله الأبناء بالألقاب المذمومة. وعليه فالصحيح جعل أسلوب (التكنية بالكنى الممدوحة) من الأساليب المفيدة في عمليَّة التربية وممَّا يجب أن يكون، بدلاً من جعل (التنابز بالألقاب) من الأساليب المضرَّة وممَّا لا يجب أن يكون كما فعل الكاتب.

4. التكرار المملّ للأفكار، وإن كان بصياغات مختلفة، سواء داخل الفصل الواحد أو بين الفصول.

5. الإطناب المخلّ الذي وقع فيه في الفصل الخامس عند تعريفه للجدل والمراء.

وثمَّة ملاحظات تفصيليَّة وجزئيَّة أخرى أعرضنا عن ذكرها مراعاة لحجم القراءة؛ نظراً لاحتياج بيانها إلى نقل شواهد تفصيليَّة من الكتاب.

سُرَّ من رأى:
سِرٌّ من عَرف

سكينة مصطفى
باحثة في الدراسات الاسلامية ـ لبنان

في بلاد الرافدين، في قلب العراق...

غرسة من المدينة المنورة، تفتّحت ورداً بألوان زاهية شتّى، لكنّ جميعها ذات عطرٍ محمديّ...

في قلب العراق مدينةٌ تشرّفت ببيتٍ أذن الله أن يُرفع ويُذكر فيها اسمه...

بيتٌ عاش فيه الإمامان عليٌّ الهادي والحسن العسكريّ عليهما السلام، وولد فيه الإمام المهديّ المنتظر عجل الله فرجه الشريف...

بيتٌ زفر في أثير سامراء طيْباً وعطراً وعشقاً... منه سمع المسلمون الأذان، وتكبيرة الصلاة، وحديث رسول الله صلى الله عليه وآله

بيتٌ جعل من المدينة «سرّ من رأى» ولو تبدّلت أسماؤها...

إنّها مدينة سامراء...

من المدن العراقيّة القديمة والمقدّسة، تضمّ تربتها الزكيّة مرقدَ الإمامين عليّ بن محمدٍ الهادي والحسن بن عليٍّ العسكريّ عليهما السلام، والسرداب الذي غاب منه الإمام المهديّ عجل الله فرجه الشريف. تزخر المدينة بالمآثر التاريخيّة والحضاريّة التي جعلتها محطةً سياحيّة مهمّة داخليّاً وخارجيّاً، ما دفع منظمة اليونسكو عام 2007م إلى إدراجها ضمن قائمة التراث العالميّ.

موقعها:

تقع سامراء في محافظة صلاح الدين في الجهة الشرقيّة لنهر دجلة، على بعد 125 كيلو متراً من العاصمة بغداد. تبعد عن النجف الأشرف حوالي 300 كيلو متراً ، وعن كربلاء المقدّسة حوالي 220 كيلو متراً.

اقتصادها:

يعتمد اقتصاد سامراء على قطاعي الزراعة والصناعة، فهي تتميّز بهوائها النقيّ، وتربتها الخصبة؛ لوقوعها على نهر دجلة. تشتهر ببساتين الحمضيّات، وفيها مصنع مهمّ لتصنيع الأدوية، وصناعات خفيفة أخرى، مثل: صناعة الأنسجة القصبيّة من سِلال وحُصُر وغيرها، كما تشتهر بثروتها الحيوانيّة.

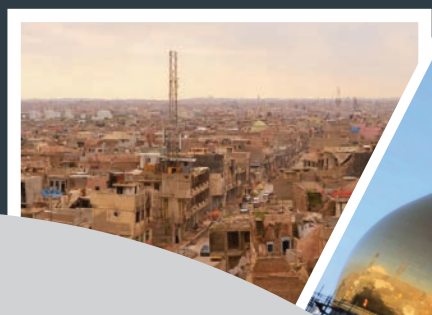

تاريخها:

بناها المعتصم العباسيّ سنة 221هـ/ 835م
لتكون عاصمة دولته، وبعد أن تمّ بناء المدينة انتقل مع قوّاته
وعسكره إليها، ولم يمضِ إلا زمن قليل حتى قصدها الناس وشيّدوا فيها المباني.
وبقيت سامراء عاصمة للخلافة العباسيّة فترة تقرب من 58 عاماً، امتدت من سنة 220هـ/
834م إلى سنة 279هـ/ 892 م.

ذكرت بعض المصادر التاريخيّة أنّ سامراء كانت مأهولة بالسكان قبل الميلاد بعشرات القرون، وقد تأسّست المدينة في العصر الآشوريّ، واتخذ الساسانيّون والمناذرة بعض مواقعها حصوناً عسكريّة ضدّ الروم والفرس، ومرّت بها حضارات مختلفة؛ لذا تعدّ سامراء من أقدم المدن العراقيّة.

اختُلف في أصل تسميتها، بين من اعتبره مشتقّاً من اسم بانيها «سام بن بنوح»، وسُميت «سام رآه»، وبين من اعتبره مشتقاً من اسم موطن سماه الآشوريّون والبابليّون «سومورم»، أو «سورمارتا»، لكن تمّ تحويره إلى سامرا، غير أنّ ثمّة رأياً آخر ذهب إلى أنّ أصل تسمية المدينة أراميّ، يشبه أسماء مدن أخرى مثل: كربلا وباعقوبا.

وكانت تُعرَف أيضاً بالعسكر؛ قال الفيروز آباديّ: «عسكر اسم سرّ مَن رأى، وإليه نُسب العسكريَّان أبو الحسن عليّ بن محمّد بن علي بن موسى بن جعفر وولدُه الحسن، وماتا بها»[1].

لكنَّ تسمية المدينة بـ «سُرَّ من رأى» غلبت على جميع التّسميات في الماضي؛ لأنّ المعتصم أراد التّفاؤل على عادة العرب، فقال: نسمّيها سُرَّ من رأى، بعدما قيل له إنّ اسم هذا المكان سامرّا.

1- الفيروز آباديّ: القاموس المحيط، (لاط)، (لان)، (لام)، (لات)، ج1، ص: 440.

معالمها:

تشكّل المدينة حاضرة إسلاميّة عظيمة، وتنير سماءها القبّة الذهبية لضريح الإمامين عليّ الهادي والحسن العسكريّ عليهما السلام، كما أنارا في حياتهما المباركة تاريخ سامرّاء وحاضرها، فكانا الإمامين الشابين اللذين نقلا إلى الناس علوم جدّهم محمد ﷺ، يُذكر أنّ ما يقارب الـ 185 راوياً نقلوا الحديث عن الإمام عليٍّ الهاديّ عليه السلام، إلى جانب وقوفهما بوجه المدارس الدينيّة والفكريّة التي كان من شأنها بثّ الانحراف واختلاق الشبهات، وقد زخرت مناظراتهما ورسائلهما بالأدلّة الساطعة والقاطعة في وجه تلك التيارات، مرسّخين بذلك عقائد الدين الإسلاميّ الحنيف.

كما شهد هذا المكان المعظّم ولادة الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام، وهو الإمام المهديّ محمّد بن الحسن العسكريّ (عج)، ومعه وُلد الأمل في شرايين الوجود، منتظراً وعد الله ورسوله ﷺ، لتُملأ به الأرض عدلاً كما ملئت جوراً.

وللمدينة عدد كبير من المعالم التاريخيّة والحضاريّة والأثريّة، أبرزها:

* **المسجد الجامع الكبير:** يعدّ اليوم أكبر جامع أثريّ في العالم، أسّسه الخليفة المتوكّل سنة 245هـ فوق أرض مستطيلة الشكل تبلغ أبعادها 260م ×180م. ويرتكز بنيانهُ على دعائم مثمّنة الأضلاع، ثم بعد توسعته أضاف إليه المئذنة الملويّة المؤلّفة من خمس طبقات تتناقص سِعتُها ارتفاعاً. وسعة الدّرج متران، وهو بعكس عقارب السّاعة، وعدد درجاته تبلغ حوالي 399 درجة، والارتفاع الكلّي للمئذنة يبلغ حوالي خمسين متراً.

* **مسجد أبي الدلف:** كان مخطّط هذا المسجد مماثلاً لمخطّط مسجد سامراء الكبير، وله مئذنة مشابهة، لها منحدر لولبيّ حلزونيّ ولكنّها أصغر قليلاً، وهو يعدّ ـ أيضاً ـ من أكبر المساجد الإسلاميّة.

* **مساجد قديمة متعدّدة:** جامع القلعة، مسجد حسن باشا، مسجد حميد الحسّون، مسجد سيّد درويش، مسجد البورحمان، مسجد عليّ بن أبي طالب عليه السلام، مسجد الحاج صالح الرحمانيّ، ومسجد الأرقم، مسجد أولاد الحسن عليه السلام، جامع الفاروق.

* **سور المدينة الأوّل:** كان يُحيط بالمدينة سُور بُنِيَ بالجصّ والآجر وصل ارتفاعه إلى 7 أمتار، وكان له 19 برجاً وأربعة أبواب، هي: القاطول، والناصريّة، والملطوش، وبغداد. لم يبقَ منها إلاّ باب بغداد الذي تحوّل إلى متحف تُعرَض فيه نماذج من الآثار المستخرجة من الحفريّات الأثريّة. وقد ظلّ هذا السُّور ماثلاً للعيان حتى سنة 1356 هجريّة/ 1936م.

* **قصر العاشق:** وهو بناء مستطيل الشكل يتكوّن من طابقين، بناه المعتمد العباسيّ عام 267هـ/ 880م على الضفة الغربيّة لنهر دجلة، لكنّه لم يقم فيه طويلاً، حيث انتقل إلى بغداد.

* **الجوسق الخاقانيّ:** وهو من أهمّ الآثار العباسيّة الباقية إلى اليوم، وهو دار الخليفة الذي ذكر في كتب التاريخ بأسماء متعدّدة، منها: بيت الخليفة أو دار العامّة أو

الجوسق الخاقانيّ.

كان أكبر قصور المدينة، يطلّ على الشارع الأعظم من جهة الشرق، وعلى نهر دجلة من الغرب، يتميّز القصر بمساحته الشاسعة، وموقعه المميّز، بالإضافة إلى عمارته الراقية والتشكيلات الزخرفيّة والرسوم الجداريّة التي جعلت منه مقصداً لمختلف البعثات السياحيّة والأثريّة.

بالإضافة إلى عدد كبير من المعالم والقصور الأخرى مثل: قصر بلكوارا (شيّده المعتزّ سنة 247هـ)، قصر المختار، القصر الوزيريّ، قصر العروس، القصر الجعفريّ، المدينة المتوكّليّة (على بعد 15 كم شمال مدينة سامرّاء)، قصر الجصّ، بركة السباع، القبّة الصليبيّة، دار العامّة، تلّ الصوان... وغيرها.

مرقد الإمامين العسكريّين عليهما السلام:

يعدّ أهم معالم مدينة سامراء، تبلغ مساحة الباحات المحيطة بالمشهد الشريف حوالي ثلاثة عشر ألف متر مربّع؛ ما جعله أكبر المشاهد المشرّفة في العراق من حيث المساحة.

يضمّ المشهد الأجساد المطهّرة للإمامين عليّ بن محمد الهادي، والحسن بن علي العسكريّ، وزوجته السيدة نرجس، وعمّته السيدة حكيمة. فبعد استدعاء الإمام أبي الحسن عليٍّ بن محمد الهاديّ عليه السلام من المدينة المنورة إلى سامرّاء سنة (234هـ/ 857م) من قبل المتوكل العباسيّ، اشترى عليه السلام داراً، وعاش فيه مع أهله وعياله، دون أن يعلم الناس في ذلك الزمن أنّ هذا الحدث سيغيّر تاريخ سامراء؛ فقد صارت تلك الدار فيما بعد مركز المدينة، وأقدس موضع فيها، وسبباً في ازدهارها، فقد بُنيت حولها دور الأهالي ومتاجرهم وشُقّت إليها الطرق ليعيش الناس ببركتها، وليكونوا كالأفلاك الدائرة حول النجم المتلألئ، بعد أن اضمحل دور سامرّاء عاصمة لبني العباس.

وحينما استشهد الإمام عليّ الهاديّ عليه السلام في 3 رجب سنة (254هـ/ 868م) دفن في صحن داره هذه أو في حجرة من حجراتها، وكان عمره 42 سنة. وفي 8 شهر ربيع الأول سنة (260هـ/ 873م) استشهد الإمام الحسن العسكريّ عليه السلام، فدفن إلى جوار والده. ويمكن القول إنّ ذلك شكّل نواة تكوّن العتبة العسكريّة المقدّسة، باعتبار أنّ الدار أصبحت فيما بعد مزاراً قبل أن تهدم وتتحوّل إلى مسجد تحيطه الأروقة والصحن ثم السور. وفي العام نفسه توفّيت السيّدة نرجس، والدة الإمام المهديّ (ع)، ودفنت خلف قبر الإمامين بمسافة قليلة، وفي سنة (274هـ/ 887م) توفّيت السيّدة حكيمة، أخت الإمام الهادي عليه السلام، ودفنت إلى جوار أخيها.

في سنة 289 هجرية، وبعد موت المعتضد العباسيّ، نُصب شبّاك في جدار الدار يُشرف منه المارّة على الأضرحة؛ فكان الناس يزورون الإمامين عليهما السلام من وراء الشباك. وبقيت الدار على حالها ما يقرب من خمس وأربعين سنة.

ونظراً لخلوّ المنطقة من ساكنيها قياساً بما كانت عليه أيام عمرانها، فقد تعيّن على بعض الناس المحبّين في بغداد أن يقوموا بتعهّد تلك الروضة المطهّرة وسدانتها، والقيام بشؤون زوّارها، فكان أولئك الأفراد ينظّمون القوافل في المناسبات ويرافقون الزوار إلى سامرّاء، ثم يعودون بهم إلى بغداد، ثم توالت مع مرور الزمن أعمال التوسعة والتجديد والبناء حتى **غدت الروضة العسكريّة أكبر المشاهد المشرّفة في العراق.**

ومن معالم هذا المقام الشريف: سرداب الغَيبة، وقد كان هذا السرداب جزءاً من بيت الإمامَين العسكريَّين عليهما السلام في سامرّاء، وخصوصيّته أنّه تشرّف بسكنى الأئمة الثلاثة الهادي والعسكريّ والمهديّ عليهم السلام، وكان مبيتهم ومعبدهم لمدةٍ طويلة. وللسرداب باب خشبيّ جميل مضى على صنعه أكثر من سبعة قرون، فقد بُني بطلب من الحاكم العباسيّ الناصر لدين الله، سنة 606هـ .

هذا السرداب هو بيت المهديّ عجل الله فرجه الشريف الذي لا زال قائماً وحاضراً، أفلا يأتي بيَته؟! هل له بيتٌ واحد في هذا الوجود؟ هل نراه هناك لو أردنا زيارته؟ هل يسمع صوتنا حين نلقي السلام؟

أكثر من ألف عام من الغيبة، عن البيت والأهل والمحبّين، أين قضَيْتها يا ابن رسول الله؟!!

الساعة الشمسيّة المكتشفة في سامرّاء:

في سنة 1972 كان عمّال الهاتف في مدينة سامرّاء يقومون بأعمال الحفر لمدّ الأسلاك، وفجأة ظهرت لهم لوحة مربّعة من الرّخام المعروف في العراق، أُصيبت ببعض التهشّم عند استخراجها ثمّ نُقلت إلى المتحف الوطنيّ في بغداد، بعدما تمّت معالجتها مخبريّاً وترميمها، وكانت المفاجأة، أنها تمثّل ساعة شمسيّة. يُستَدلّ من صانع الساعة عليّ بن عيسى الذي نقش اسمه عليها وعاش في سامراء أواسط القرن التاسع الميلادي أنّها أقدم ساعة من نوعها تعود إلى العصر الإسلاميّ؛ ولذلك فإنّها تُعدّ مفخرة من مفاخر الحضارة المشرقيّة في العصر الإسلاميّ.

أخيراً، سيأتي اليوم الذي يتوجّه فيه العالم أجمع إلى سامرّاء...

إلى تلك البقعة المباركة، التي ضمّت في ترابها أطهر الأجساد... وخبّأت في سردابها أعظم الأسرار

سيُلقي المُحبّون السلام على إمامهم... أوَليس الإمام حاضراً يسمع كلامهم ويردّ سلامهم...!!

لكنّهم هذه المرة سيسمعون السلام...

وسيسمع العالم أجمع نداء الحقّ...

الشارح الأكبر لفلسفة أرسطو
ابن رشد الأندلسيّ

زينب قرصيفي
باحثة في الدراسات الإسلامية ـ لبنان

هو محمّد بن أحمد بن محمّد بن رشد الأندلسيّ، المعروف عند الغربيّين باسم «Averroes».

لُقّب بـ "الحفيد"؛ تمييزاً له عن جدّه أبي الوليد محمّد بن أحمد بن رشد، قاضي الجماعة بقرطبة ومن أعيان المالكيّة.

وُلد ابن رشد الحفيد سنة 520هـ/ 1126م، وتوفي سنة 595هـ/ 1198م، عن عمر 72 سنة[1].

دراسته:

تفرّغ ابن رشد لدراسة جميع علوم عصره من شعرٍ، وأدبٍ، وطبّ، وفلسفة، وفقه، وموسيقى، وغيرها، بالإضافة إلى تلقّيه ثقافة واسعة في الإلهيّات وعلم الحديث. أولى ابن رشد علم الكلام عناية خاصّة، فدرسه دراسة دقيقة تجلّت في نقده الجريء لآراء خصومه، ومنهم: المعتزلة، والأشاعرة وغيرها من الفرق الإسلاميّة.

تسلّم منصب القضاء، ما جعل صلته قويّة ومتينة بمختلف وجوه الدراسات الفقهيّة والعلوم الدينيّة والعقليّة[2].

إنجازاته العلميّة:

اشتغل ابن رشد بالفلسفة، فعمل على تقديم شروحات لفلسفة أرسطو، وكان له دور كبير في تعريف الناس بالفلسفة اليونانيّة بصورة عامّة، وبفلسفة أرسطو بصورة خاصّة. كما كان له دور في تعريف المدارس والمعاهد المسيحيّة الأوروبيّة بالفيلسوف أرسطو، خاصّة بعد انتشار شروحاته بينهم[3]؛ ولذلك أُطلق عليه لقب «الشارح الأكبر»[4]. وقد بقيَ مذهب ابن رشد يُدرّس عند الأوروبيّين في الكتب والجامعات منذ منتصف القرن الثالث عشر وحتى أوائل القرن السابع عشر[5].

وعلى الرغم من الحذر الشديد الذي اتّبعه ابن

1- يراجع: الزركليّ، خيرالدين: الأعلام، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، 1980م، ج5، ص: 318.

2- يراجع: زيبب، نجيب: ابن رشد الفيلسوف العربيّ الذي هزّت آراؤه محافل أوروبا، ط1، دار الهادي، بيروت، 1422ه-2001م، ص: 18.

3- يراجع: (م.ن)، ص: 28.

4- يراجع: الأمين، حسن: دائرة المعارف الإسلاميّة الشيعيّة، ط5، دار التعارف للمطبوعات، بيروت، 1418ه- 1997م، ج 9، ص: 46.

5- يراجع: (م.ن)، (ص.ن).

رشد عند دراسته للفلسفة، إلا أنّ خصومه اتهموه بالزندقة والإلحاد، فعملوا على تشويه صورته في نظر المنصور الذي كان يقدّره ويجلّه، فنفاه إلى مراكش، وأحرق بعض كتبه، وبعد فترة من ذلك رضي عنه، وأذن له بالعودة إلى وطنه، لكنّه توفي في مراكش، ونُقلت جثته إلى قرطبة[1].

كتاباته:

1 – صنف ابن رشد نحو خمسين كتاباً، منها[2]:

2 – فلسفة ابن رشد

3 – التحصيل في اختلاف مذاهب العلماء

4 – فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال

5 – الضروريّ في المنطق

6– منهاج الأدلّة في الأصول

7– المسائل في الحكمة

8– تهافت التهافت في الردّ على الغزالي.

9– بداية المجتهد ونهاية المقتصد في الفقه

10– جوامع كتب أرسطوطاليس في الطبيعيّات والإلهيّات.

11– علم ما بعد الطبيعة

12– «الكلّيّات» بالتصوير الشمسيّ في الطب، تُرجم إلى اللاتينيّة والأسبانيّة والعبريّة

13– رسالة في حركة الفلك

أبرز آرائه وأفكاره الفلسفيّة:

– إيمانه بالمبادىء اليقينيّة البرهانيّة، ومناداته بتطبيقها على الفلسفة باعتبارها محكّاً للنظر السليم[3]. وقد أشار إلى ذلك بقوله: «أعني بالحكمة النظر في الأشياء بحسب ما تقتضيه طبيعة البرهان»[4]، «فالأقاويل البرهانيّة قليلة جدّاً حتى أنّها كالذهب الإبريز من سائر المعادن والدرّ الخالص من سائر الجواهر، والفلاسفة يبحثون على أساس هذا البرهان»[5].

– لم يستخدم ابن رشد الفلسفة والمنطق لمجرد الدفاع عن الدين كما فعل المتكلّمون؛ ولذلك يُلاحظ أنّ ثمّة فرقاً جوهريّاً بين منهجه كفيلسوف وبين منهج المتكلمين[6].

– اعتبر أن علماء الكلام أهل جدل لا برهان؛ إذ إنّهم آمنوا بأفكار خاصّة بناءً على اعتقادات مسبقة، وعملوا على تأييدها بشتى الطرق[7].

– رفض التصوف باعتباره منهجاً خاصّاً بجماعة معيّنة؛ ودعا إلى وضع الأسس الشاملة والمبادىء العامّة التي يسير العقل على هديها في إصدار الأحكام على الأشياء، والنظر في الموجودات. وقد عُرف عن ابن رشد أنّه كان من أكثر الفلاسفة التزاماً بالاتجاه العقليّ وبخصائص الفكر الفلسفيّ؛ ولذلك كان يهاجم كل من ينكر أهمّيّة الفلسفة والفلاسفة[8].

«الفلسفة هي أعلى غايات طبيعة الإنسان»

وفّق ابن رشد بين الحكمة والشريعة بتبنّيه للتصوّر الفلسفيّ الماديّ للطبيعة والعالم، وقد عمل على دراسة النصوص القرآنيّة التي تطرّقت لهذا الموضوع، وقام بتأويلها وتقديم التعريفات والمعاني الفلسفيّة للمصطلحات التي

1– يراجع: الزركليّ، الأعلام، (م.س)، ج5، ص: 318.

2–يراجع: الزركليّ، الأعلام، (م.س)، ج5، ص: 319.

3– يراجع: عويضة، كامل: ابن رشد الأندلسيّ (فيلسوف العرب والمسلمين)، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت، 1413هـ، ص: 57–58.

4–القرطبيّ، ابن رشد: تهافت التهافت، قدم له وعلق عليه: أحمد شمس الدين، (لاط)، دار الكتب العلميّة، بيروت، (لات)، ص: 271.

5– القرطبيّ، تهافت التهافت، (م.س)، ص: 221.

6–يراجع: عويضة، ابن رشد الأندلسيّ (فيلسوف العرب والمسلمين)، (م.س)، ص: 58.

7– يراجع: عويضة، ابن رشد الأندلسيّ (فيلسوف العرب والمسلمين)، (م.س)، ص: 59.

8– يراجع: عويضة، ابن رشد الأندلسيّ (فيلسوف العرب والمسلمين)، (م.س)، ص: 59.

استخدمتها الشريعة؛ فأزليّة الطبيعة وأبديّتها، بحسب ابن رشد، هما نتاج طبيعيّ للاعتراف بوجود مبدأ أوّل وعلّة أولى وفاعل أوّل في هذا الوجود، والأمر اللازم لكلّ من يسلم بكمال هذا المبدأ الأوّل[1].

عرّف النفس بأنها جوهر روحيّ متكامل قائم بذاته لا يتجزأ ولا ينقسم بانقسام الجسم، وأنّها ذات روحيّة مستقلّة، وهي تستخدم الجسم كآلة لها. وتنقسم إلى خمسة أقسام، هي:النفس النباتيّة، النفس الحسّاسة، القوّة المتخيِّلة، القوّة النزوعيّة، القوّة الناطقة[2].

وضع تفسيراً خاصّاً لطبيعة العقل الإنسانيّ، وحاول التوفيق فيه بين رأي أرسطو وبين عقيدة الدين وخلود النفس. فقسّم العقل إلى ثلاثة أقسام: العقل الهيولانيّ، عقل بالملكة، عقل فعّال. فالعقل الهيولانيّ يستقبل الأفكار، ويعمل العقل الفعّال على إخراجها[3].

استطاع ابن رشد من خلال إنجازاته العلميّة وعلى رأسها الفلسفة أن يكون له بصمة في تاريخ الحضارات الإنسانيّة، فأسهم في تطورّها وتقدّمها.

1- يراجع: عويضة، ابن رشد الأندلسيّ، (م.س)، ص: 71- 73.

2- يراجع: زيبب، ابن رشد الفيلسوف العربيّ الذي هزّت آراؤه محافل أوروبا، (م.س)، ص: 67.

3- يراجع: زيبب، ابن رشد الفيلسوف العربيّ الذي هزّت آراؤه محافل أوروبا، (م.س)، ص:

المحتويات
contents

بوصلة	فطرة تنشد الكمال...	حسن أحمد الهادي	2
بقعة ضوء	الباحثون عن الله (2)	د. نور الدين أبو لحية	4
ملف العدد	نحو حياة زوجيّة طيّبة..	د. أحمد علي الشامي	10
	سعادتكم رهنُ محبّتكم	د. فادي ناصر	13
	الحبّ في ميزان الواقعيّة	الشيخ عباس إبراهيم	18
	العزوبيّة خيار الشباب أم المجتمع؟!	فاطمة نصر الله	22
	عقبات على طريق المودّة	بتول شاهين	25
	ظاهرة الطلاق عند جيل الشباب	معتصم أحمد قوتة	29
ضيف وتجربة	مقابلة مع د. حسن خليل رضا	مريانا إبراهيم	32
تربية	كُن مدبراً ولا تكن مسرفاً..	فاطمة نعمة الله شعيتو	38
تنمية	كُن مبدعاً في تفكيرك	سارة مصطفى صفا	38
أدب وفن	وسيم	فاطمة كريّم	42
	نطفةٌ عائمةٌ لا شرقيّة ولا غربيّة	زينب آل سيف	48
تكنولوجيا	إقرأ لغتهم: تقرأ أفكارهم	آلاء شمس الدين	50
مصطلح ومعنى	الجندر Gender	زينب فهدا	54
قضايا الشباب	تردُّدي يُعيق اختياري...	محمد باقر كجك	57
قراءة في كتاب	إيّاك أن.. نقد الأساليب المضرَّة في التربية وفق معايير التربية الإسلاميَّة	مصطفى مكّي	60
إسهامات حضارية	سُرَّ من رأى: سِرُّ من عَرف	سكينة مصطفى	64
	ابن رشد الأندلسي	زينب قرصيفي	70

للتواصل

Email: Among.shabab@gmail.com
Whatsapp: 09613835051
telegram: t.me/maashabab
website: maaalshabab.iicss.iq
facebook: @maaalshabab
twitter: @maaalshabab
instagram: maaalshabab

سعر المجلة

5$ أو ما يعادلها بالعملات الأخرى

QR CODE